

من إحدى الزوايا

يحيى حق

مرحلة التنفيذ

ما أقى هذا الصراع المرير في ضمير الأمة بين الصبر واللهفة على النصر ، بين المصلحة في نسيان الماضي لينصرف الالتفات كله للحاضر والمستقبل والمصلحة في تذكره واجتراره للانعاط بعبرة ، بين مطالب المستقبل القريب ومطالب المستقبل البعيد واشمطار الجانبين لتبادل التضحية بينهما ، فتطفي الأولى على الثانية أحيانا (كالتعجيل بنفقات التسليح) وتطفي الثانية على الأولى أحيانا (بالتمويل النموذجي) كان مقررا لبعض الخدمات العامة والضمانات الاجتماعية ورفع مستوى المعيشة) وكان الخطر أن يكون هذا الصراع إذا طال مفضيا بالأمة الى حالة من الركود والجمود ، مع أنها في أشد الحاجة الى الحركة ، للتخلص من ورطتها ، الحركة لا التخطيط ، فلا جفوى من هذه الحركة الا اذا انطلقت من دعامة مستقرة ، بقدر ما يكون الاستقرار في ظروف سرعة التبدل ، وفي طريق لا تنعكس عليه العثرات السابقة أو تتكرر ، ورؤيته تزداد بالتالى وضوحا .

الدعامة المستقرة ، الطريق المأمون ، الرؤية الواضحة - هذا هو تفسير جهود قيادتنا السياسية منذ بيان ٣٠ مارس الى أن بلغت أوائل غاياتها بصدر قرارات مؤتمر الاتحاد الاشتراكي ، من أجل تحقيق ارادة التغيير التي عبر عنها الرأي العام بوضوح ليس بعده وضوح ، من أجل المعركة التي ينبغي أن لا يعلو عليها هم آخر ، من أجل النصر الذي لا مفر منه ، من أجل الوصول الى المجتمع الذي يعمه الرخاء ، وتسوده العدالة . دعامة مستقرة : اسناد أعلى سلطة الى ممثلي الأمة عن طريق الانتخاب الحر على جميع مستويات الاتحاد الاشتراكي الممثل بقوة الشعب العاملة ، انتهى عهد التجارب وتكشف قصور النص الجميل عند معاناة التنفيذ العمل ، الآن تحدثت السلطات والاختصاصات ، ولعل هذا اليوم الذي اجتمع فيه ممثلو قوى الشعب لتولى أكبر سلطة في الدولة قد مر دون أن نفى له كل الوفاء بحقه والحفاوة بدلالته ، فلا أباغ إذا قلت انه كان أول مرة في تاريخ مصر - بقدر ما تعيه ذاكرة الجيل المعاصر - تستند فيها السلطة كل السلطة الى الشعب ، فيتولى أموره بنفسه ، مالمكا لأرادته ، سيدا لأمسودا ، هذا هو الامل - اوقل هذا هو الحلم - الذي كان من قبل وراء كل ثورات مصر وتضحياتها - ها هو ذا قد تحقق ، وكما أن السلطة استندت الى أيدي ممثل الشعب فإن تبعة الذنب أن تكون معلقة من بعد الا في رقابهم . عليهم بعد أن نالوا الحق اعمال هذا الحق ، بعد أن ملكوا سند السلطة الانتقال بها الى حيز التنفيذ ، لا نريد أن نسمع اغذارا بأن الذي يحدث هو غير المراد ، والاختفاق هذه المرة

ليس كالمرات السابقة فقد كانت مصحوبة بالامل في الوصول الى ما هو احسن ، وها نحن قد بلغنا القاية التي ليست بعدها غاية ، فاذا كان مآلها الاخفاق فانها ستترك فراغا لا ندري كيف نسدده ، وبأسا لا ندري كيف نداويه ، وطعنة قاتلة لثقة الشعب بقدراته ، سنعود ونكرر بالسنتنا نحن كل عبارات التشكيك في معدن هذا الشعب وصدقه في طلب الحرية وقولة الحق ورفضه للعبودية والتفاق ، التي تفضلت بها علينا حشود كبيرة من ادعياء الفطنة ، غرباء واقرباء ، من قديم ومن حديث .

وطريق مأمون بعد ان تم بفضل عناق للصداقة والصراحة والجرأة والكرامة كشف اسباب عثرات الماضي وتصفيتها . تتمثل بالحكمة القائلة : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

ورؤية واضحة بعد ان تعلمنا من الدرس المرير حكمته فارتضينا ان يتزاح الستار عن حقائق كثيرة كان يفرض عليها ان تغلق في طي الكتمان ، ليس اقلها شأنا حقيقة العدو الذي نواجهه ، الصهيونية العالمية . ان اريد لهذه الرؤية مزيد من الوضوح فلا بد من مزيد من علم الشعب بحقيقه عدوه ، كما هي بلا مبالغة او تهويل ، بغير استخفاف او ذراية ، فكل الذي تجنيه من كتمان هذه الحقيقة يدعوى للخشية من تهيب حمة الشعب لن يكون الا عكس ما نقصده ، نريد مواجهة العالم بالعالم لا الجاهل بالعالم . واسرائيل تعلم عنا كل ما تريد ان تعلمه .

ان الغرض من كل ما حققناه ليس هو اتاحة الفرصة للاتحاد الاشتراكي ان يعمل فحسب بل ان تتصف اعماله بالجد وان تبلغ سياسته ارقى مستويات السياسة ، فالامل ان لا ينساق وراء خلة شاعت عندنا مع الاسف اخيرا ، مهما يكن لها من عذر او تبرير فانها عبث محض ، وضارة اشد الضرر فهي تقوض قدرة الشعب ورغبته في التصديق وتحمله على التشكيك في كل ما يقال له . خلة القول مثلا بضرورة حل مشكلة المواصلات في بحر اسبوعين ، ومشكلة ازدهام الجسامعة في شهر ، ومشكلة تنمية الصادرات في بحر شهرين الخ الخ ، وهي مشاكل في علم الناس عويصة لا يختطف حلها خطفا او سلقا بل يحتاج الى رؤية متشدة لاتحشا السبياط ، لا نريد ان تحدد لهذه الوعود العويصة مواعيد ، واذا حددت ان تلزم بها ، كم من وعود بذلت بلهجة الوثوق بحل مشاكل الاداة الحكومية والروتين واللوائح ووضع لهذا الحبل آجال محددة ، ثم اسفرت كلها عن لا شيء . . .

وان لا يتأخر الاتحاد الاشتراكي طويلا في ان ينقل الى حيز التنفيذ كل قرار قابل للتنفيذ فورا ، في مقدمة هذه القرارات اصدار مجموعة التشريعات التي توائم بين مصلحة الدولة زمن الحرب وضرورة حيطة حريات الفرد . آتمنى ان تحتل انباء انتقال هذه التشريعات من مرحلة الى مرحلة مكان الصدارة بين بقية الانباء ، وان تلقى من الدفع بها والرغبة فيه والقدرة عليه أقصى الطاقات ، لتشرق علينا عاجلا مرحلة تنفيذ هذه القرارات - فهذا هو محك الامتحان

فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ

قرآن كريم

بقلم : حسين ذوالفقار صبري

صادقة حقاً ؟ صادرة هي عن قلوب أفعىها الايمان فعلاً ؟ أم تراها قول لسان ؟ أو ادعى من ذلك ؟؟؟ صرخة اليأس كنتك أطلقها فرعون بأن قد آمن ، وما كان ليقولها لولا أن أدركه الفرق !

ما من مكان الا وأعلفت به الآيات الكريمة ، تراها حينما كنت ، واني توجهت ؟؟؟ في الطرقات في المواطن ، في المكتاب ، وعلى جدران البيوت ؟؟؟ واحدة منها هي السبابة الى الانظار ولا منازع فنجنل نعانى من آثار مزيمة تكراه ، لا يمحوها الا النصر ، نصر من الله وفتح قريب !

« ان ينصركم الله فلا غالب لكم » ، حروف اشع بورق في كل مكان فيلهج بها كل لسان ، هكذا قال مسيحاته وتعالى في كتابه العزيز ، وانه على وعدم تحفظ !

ولكن مهلا ! فقد آتبعها تعالى بما فيه توضيح وتحذير لمن اراد أن يتدبر فيتعقل : « وان يخذلكم فمن الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

فان الله لا يوزع النصر جزافاً ، انما هو الوعد الحق لمن استحق ! وانه لوعد حق - ما في ذلك مرية - ولكن ليس كما اعتقد من أثر أن يقعد عن السعي ؟؟؟ فليس للانسان الا ما سعى !

وكانى بنفر يتجه فببرطم بذلك السؤال الاستنكارى التليد : « وهل يتخلى الله عن المسلمين ؟ » .

ولكن مهلا مهلا مرة أخرى ! بل أربع على نفسك قيل أن يجمع بك اللسان فتلويه بقول يفويلا بالاستكانة الى عقبى الأمور ؟؟؟ تحسبه من الكتاب وما هو من الكتاب ! فانما اختص الله برحمته

مضى العام على عدوان ه يونيو ، وهاك آخر يتلوه مستتلاً شهراً اثر شهر ٠٠٠ وقع هجوم اسرائيل الغادر بيننا كنت في غربة ، وهزنتى الهزيمة الى الاعماق ، خاصة وأن آتبعها كانت تتراهم الى متواترة من بعيد ، فالتفاهة مزق النفس بين انكار واذعان لقضاء بدا أن قد حم ، يتناوحنى الأمل والألم ، أمل لا أكاد أعلق به بأهداب له هي من صنع خيالات التمني حتى أصدم مرة بعد أخرى الى ذهول ، فأتخبط في حالة مروعة من فقدان وزن وضياح اتجاء .

ثم وجدتنى بعد العودة الى أرض الوطن المسبى مدفوعاً الى تسطير تلك التجربة المريرة القاسية فى صورة من يوميات ، لا قوام لها من موضوعية الا « موضوعية التجربة الذاتية » ان مسح هذا التعبير - وكأنما النفس قادرة على أن تفسر - حواس الادراك وأحاسيس الانفعال ، فتلف تلك بأناة وتمضى بها متمهلة ، ثبته الرأى ، ناظرة حاسية ، بينا هذه تحز حزا اذ ينهش القلب ، وقد فطر ، بضعة اثر بضعة ؟؟؟ ترى أكان الفكر هو الذى يحرك القلم فيسجل ، أم أن الاحشاء هي التى تضطرب فتجيش بلوعة وأنين !

مضى عام وبضع عام ٠٠٠ فربما أن تكون النفس قد استعادت تصابيا من روية واتزان ، فاني اذ انظر الى الوراء أكاد أشعر أن قد زال ما كان أصاب أبعاد الرؤية من انبعاث عاطفى ، وأن قد سكن الفكر الى ما يبرر معقولة من ترابط موضوعى بين علة وسبب ، فهل آن لى اذن أن ألقى ما كان نظرة متفحصة ؟

أول ما لفت انتباهي فى أعقاب العدوان تلك الموجة الغالبة من ضراعة الى الله ، ولا غرو فهو النصير حين لا يكون نصير ! ولكننى اتساءل أهي

اصحاب دار الايمان ، وليس من وعد لمن عبده على حرف !

وبدا فلم اتلجنى ان ارى بعض تحول - طفيف للأسف ولكنه بدايه على ثل حال - حين اتجه البعض الى ثلث الايه الكريمة الاخرى ، واضحة المعنى لكل ذى فهم ، قصرت مداركه ام اتسعت ، والتي تصور حالنا اصدق تصوير ، اذ يقول عز وجل : ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم .

يشير بان قد اتفقا الى جوهر الموضوع ، فان من الايات الكريكات ما لا يفقه عنها المتعجل غير المثبت - وانهم لجله الغالبية - الا عارض معنى - فتنزهها عن أن ترفع على اللافطات وكانها شعارات - وأعجب به من عصر ، مضونه الحضارى هي اللافطات ! - فيها روى للعين فتخدأ ، بينما كان حريا بها أن تستغفر الهمم فتنتشط ... تعاويد سحرية مغفولها اكيد - « افتح ياسمسم ! » - دون ما لدية أو سبب ، ومثلها مقولات ومعطيات تتعلق بها وكانها مسائل أولية ، صالحة لكل عصر واوان وما اختلف من ظروف مكان ، تتبع في كثفها مستحيين ، ولكن الله المؤمنين شر اعمال الفكر ! فان من الفكر ما يقف على المرء راحة باله فيدفع به الى غلبته قلب الامور ، والاكياب على حساب الاجتهاد والسعي الى استنباط الوسائل ، والكذ الكادح في سبيل الاعداد !

في عام ١٩٥٦ ارتد العدوان الثلاثي عن بلادنا مدحورا ، وكان علينا أن نستخلص لانفسنا من ذلك الحدث الخطير معاني ودروسه ... كان نقطه تحول ضخمة في تاريخنا ، وكانت له ردود فعل حرية بان تقلب الموازين في ميادين السياسة الدولية ، فترجع من كفة الشعوب في صراعها الابدى ضد قوى الشر والعدوان .

بدا حينذاك أن « حرب السويس » - كما سميت - قد رسمت حدا فاصلا قاطعا بين الاستعمار القديم بأسانيبه المباشرة المتمددة على التدخل العسكري السافر وبين الاستعمار الجديد اذ يموه متخليا عن الشكل في سبيل الاحتفاظ بالجوهر ، سالكا دروب السيطرة غير المباشرة ، متجنبيا قدر الامكان - بل تماما ! هكذا كان

الظن ... اثاره الضمير العالمي بتدخلات فظة فجأة .

هكذا بدا ، ولا شك ان النتيجة الى استخلاصنا ارتكزت حينذاك على واقع صلب من رؤية واضحة المعالم ، فالكتلة الاستعمارية تواجه قوة صاعدة متراصة من بلاد اشرقية ، تنظ عليها مضاجعها وتشدد اليها اهتماماتها ... كثلثان كبيرتان تقف كل لالأخرى بالمرصاد ، وفي العاصمتين القطيبن ، واشنطن وموسكو ، رجال ذوو انامل لا تكاد تستقر من قلق ، متحفزة للضغط على الأزرار - اذا ما بدرت عن الجانب الآخر بأدرة سوء - فتنتطلق قذائف السلاح النووي الرهيب ، حيث لا غالب ولا مغلوب . وانما الانتعاز الجماعي للبشرية دون تفرقة أو تمييز !

وفي ذلك الجو المكثف من تربع وتجعز ، كمشيت القوى الاستعمارية نفسها متحيرة ، فقد ذال عصر احتكارها للأسلحة النووية ... كان يكفيها من قبل أن تكسر عن انيابها فتتكسر قوى الكتلة الشيوعية على أعقابها ولما أن تقدمت - في ايران ، في اليونان ، في تركيا ، في برلين - فقد كان الجحش يهجم المجازفة بكماسب ضخمة انتزعها كعاج الاجال .

هذا هو جزء ... واذا بالولايات المتحدة تصدم صدمة العمر في أوروبا ، وهي التي اعتقدت أن قد تبوات ، مستتبيا غير مزعزع ، مركز الأمر النهائي المتصرف في مصائر الشعوب ... ورطة مهينة اذ تكشف فجأة أنها عاجزة عن الانجاء الى الأسلحة النووية - التكتيكية منها حتى ... الا تلويحا وبصدد ارهاب ! فقد أصبح للاتحاد السوفيتي قوة نووية مضادة - ذاك امر كانت عرفت به - ولكنها لم تتدبر الابعاد الحقيقية لاحتمالاته الا حين جد الجدل ، فيتملكها قلق وجزع ، وتزيع دون أدنى تردد عن مراكز السلطة أو القدرة العسكرية الجنرال مالك أرنر وأمثاله ممن تخيلت فيهم ميلا الى المجازفة .

صدمة لا يعرف مداها الا من تتابع عن كثب ردود الفعل في الاوساط الامريكية الحاكمة ، وفي قطاعات واسعة من الرأي العام في تلك البلاد ، كانت أشعرت أن العالم قد دان وأخفض لها المواطن سهل ، ورطة مهينة بل صدمة عنيفة ، لأن الولايات المتحدة ما كان يوسعها في الوقت

رغم تخلفها السابق ، ورغم التضغوط المستمرة من حولها ، وفي عقله من حساب ، الى السلاح النووي الرهيب - وتفتيق الولايات المتحدة ، بينما غارقة في مغامرها الكورية ، الى حقيقة مرة عسيرة الهضم فالأفاق التي تطلّع إليها ليست مفتوحة « سداح مداح » كما كانت تظن وتبغى ، وإنما دون ذلك حدود معينة ، حذار من مجاوزتها والا قامت ... ليس بحياة الكوكب وما يقص به من شعوب - فهذا لا يقص عليها في كثير - وإنما بصميم وجودها من ضمن !

صدمة العمر ! وعكف خسرانها على الدراسة ... وبدا كان يتنازع تصرفات رجالاتها المسئولين تياران ، أولهما هو في حقيقته ، وإن حرص صاحبه على اشفاء مخايل من عبقرية على مضموه ، مجرد رد فعل تشنجي - كما يقفل اذا ما حرم فجأة من لعبته المفضلة - دفع به فوستر دلاس متبهايا الى مدهاء فيما أسماه « سياسة « حافة الهاوية » . ثم تيار آخر خبيث وصين ، « حافة الهاوية » في نظرية الجنرال نورستاد الأمريكي - قائد حلف الاطلنطي حينذاك - اذ اتجهت العسكرية الأمريكية ، كما يضع الآن من قرارات حلف الاطلنطي في اجتماعه السري بشبونة عام ١٩٤٢ ، الى التوسع في بناء قواتها التقليدية فتمتصح الاداء داخل محدودة في اطار محدود ، بعيدا عن مزالق الالتجاء الى الاسلحة النووية في الميدان المنعزل ، او عن توسعة جبهة التدخل فتشر جزعا متفاقا .

ويضع الجنرال نورستاد للاستراتيجية الجديدة معيارين ، قمة يسميها « العتية » يتحتم عندها الالتجاء الى الاسلحة النووية ، التكتيكية أولا وكأما للتحذير ، والا فهي الحرب الشاملة ! أما فيما دون هذه القمة فيتمتع على الولايات المتحدة أن تجابه المشاكل اذا ما تصاعدت أحدها ، أو أن تصاعدت هي بها كما هو الغالب على تصرفاتها ، بما يسميه « الوقفة » - هي فاصل من أناة وتريث - فسحة من وقت فيتدير الجانب المقابل - أي المعسكر الاشتراكي - الأمر عسى أن يختار طريق التفاوض .

وهكذا ارتقت الولايات المتحدة سياستها وتبدا من نطاق الانفعالات التشنجية الى مستوى من مرونة فائقة ، مستغلة ما تصفيه عليها سيادة أساطيلها على أعالي البحار من انبساط مجالات

نفسه أن تلغي بجرة قلم الرواسخ الاساسية لاستراتيجيتها الامبريالية والا انهار صرح بنياتها الاقتصادية ، فالهيكل الطبقي لمجتمعها ، تم تنظيماتها السياسية حتى ١٠٠٠ بل قل صميم كيانها ان شئت !

ليس امامها اذن الا ان تجند علماءها ومفكرها وخبرائها عساهم أن يجدوا لها مخرجا ، بل تلافيف من دروب تدلف بهم مرة أخرى الى حيث الجادة ، الى اساسيات تلك الاستراتيجية العالمية الطموح ، لا قوام ولا تماسك لكيانهم الا بها !

هذا حجرا أساسى رئيسيان ، وهما ، وسابق من حيث زمن ، عقيدتي دالما ماء الحياة بالنسبة لها ، ينبثق من نصوص مبسدا منرو . الا وهو الحفاظ على امريكا اللاتينية «ضبعة» لا يشاركها في استغلال ثرواتها دخیل ١٠٠٠ الا على استحياء، وهما «خزوا للعين» فحسب، وثانيهما هو الامتداد بل النمو الطبيعي للمبدأ الأول ، أو قل هو نفسه في صورة من توسع في التطبيق ، اذ تضخمت امكانيات الولايات المتحدة الى قوة عالمية في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، فتجرب أساطيلها البحار والمحيطات وكأنها تحولت جيعا الى مياه القمم للقفار الأمريكية .

استراتيجية طموح ! وليس بدعا ان يخرج علينا كندى بـ «الأفاق المفتوحة» شعارا ، اما هي نظرة منه ناقبة فيتحذر لواقع الامور ، بل واقع الاطماع فهو التعبير الأدق - العنوان الدال !

انها اتجاهات استيطنتها السياسة الأمريكية منذ خروجها مظفرة ، غير منهوكة القوى كغيرها ، من أوار الحرب العالمية الثانية ... بلاد امالم وشعوبه جميعا آفاق مفتوحة ! الا تلك المنطقة في قلب القارة «الأوراسية» التي وان أضختها الممارك الضارية مع جحافل الجيوش النازية فهي النواة الصلبة لنظرية اجتماعية مضادة ، ومنيعتا محتلا لثوائف من رياح التغيير، حورية بإخصاب اتجاهات التحرر عند كافة الشعوب ، فلتعزل اذن ! بأن تقام من حولها الأسوار ... سلسلة متصلة الحلقات من قواعد عسكرية ومناطق نفوذ ، احتواء كامل شامل أو يكاد للمعسكر الدول الاشتراكية .

ثم الصدمة ! اذ تتوصل تلك الكتلة المعزولة،

قصدي ... وإنما البشر بشر وإن ارتقى نفر منهم
إلى مراتب عليا من زعامة ، فيظنهم العامة من طينة
غير طينتهم ، عقولا فذة خالصة ، قد أحصنت من
سقطات ، منزلة من لزق ، في منعة من عارض
نزوات ...

ثم أن روح الدعاية متأصلة في نفسية خروشوف
لا يكاد يملك القدرة على مخالفتها وخاصة إذا ما
أحس بنفسه في بسطة من ثقة وأمان ، لا يكاد
يذكر اسمه حتى يتبادر إلى الأذهان فيض من ملح
ونوادير هو بطلها أو راويها ، أشهرها تصرفاته في
جلسات هيئة الأمم منذ سنوات ، حين خلق فردة
حدائه القديم وراح يقرع بها المنضدة أمامه ،
استهجانا لبعض كلمات ، بينما تشع ملامحه بروح
من سخرية ومرح ، وتلمع عيناه «بشفاوة» الصبي
المشاكس .

هي دعاية ولا شئ ، دعاية خطرة وربما نجح ،
اعتمدا منه أن التعايش السلمي أصبح حقيقة
مسلما بها ، وأني لاصور - فجميع ما أقدم إنما
هو مني الخاصة ولكن الوقائع جميعا لا تترك لي
مجالا لي أثيرها - أن خروشوف لم يستبعد أن قد
تجسس كسدي إذ يفجؤه الموقف ، ولكنه واثق أن
سوف يكون مجرد عرض ، ثم يفيق كسدي فلا
يكون عرضا سلميا ، فتصفي القواعد أو على الأقل
تلك التي هي في كرويا واليونان مقابل الصواريخ
التي في كرويا - وهو اقتراح برز فعلا إذ اشتدت
الأزمة - إقرارا لواقع التعايش السلمي ، فصلا
بعد قول .

ويذهلني أن قد فات خروشوف تقدير الموقف
من حيث بعض وظائف ارتكزت عليها مشاعر الأمن
القومي في أمريكا ، وما كانت لتفوته لسولا أن
تحرك بينما طفت عليه روح الدعاية - فإنها حال
كثيرا ما تسلب أشد الرجال حسكة اقتراهم
وحصافتهم - فقد كذب ، دون ما تربت فيندبر ،
بغفوة من سهم تكاد أن تكون موجهة إلى مقتل !
فلا غرو أن كان رد الفعل حاسما صارما ، جياشا
بتحضر إلى مواجهة ، وعنف المواجهة النووية حتى !
وليكن ما يكون !

كثرة غالبية من المسئولين ومستشاري كسدي
المقربين راوا - عفوا ! فلا رؤية إذ نقيم العين
بسورة من غل أو غيظ قد تعارم - الجوا به أن
يضرب ، وأن يضرب فوراً ، إلا أنه - صديق من

الحركة ، ولكنها لا تصاعد بعملياتها إلا درجة اثر
درجة وبحساب ، متلقتة بين الحين والحين .
مرهقة السمع ، تقيس ما عليها أن تخطو من
خطوات وما قد يقابل ذلك من مساقاة أو جهد ،
أو ما يتفصح أمام الجانب الآخر من هامش وقت
لو أن قرر مقارعة التدخل أو أن يتصدى له على
الأقل .

وفي ذلك الجو المحفوف بمخاطر جمة تهددت
البشرية جماء بالدمار الشامل لو أن أُلقي الحساب
حتى عن غير قصد بركة من هذا أو من هناك ،
تحوّلت الحرب الباردة إلى نظرية من تعايش سلمي
تعطي من كلا الطرفين باحترام قل أن حظت به
حتى أدق المعاهدات تفصيصا ، ولكنه احترام
فرسه أساسا تخوف كل جانب من النوايا التي
يظن أن قد أضمرها الجانب الآخر .

وإذا بالموازين الدقيقة تغفل متقلقة إذ يفجر
خروشوف الموقف بأزمة صواريخ كرويا !
أختلس فرصة فيتحرك بها خفية إلى هناك ...
أهو عمل أقدم عليه بعد حساب وأناة وصفا
للإحتمالات والعواقب ؟ إن الدارس لشخصية هذا
الزعيم غريب الأطوار ، واسع الحيلة ، المتدبر
أموره حتى أدق التفاصيل إذا ما كانت المازق ،
ليشده للملاحقة تلك الأخرى ، وقلنا لشخصية جمة
مختلفة ، فهو «الهلوي» المهدار «الهلوي»
ورقات ، حين تكون فرجة تبسط فيها الأمور .

إني أعتقد ، وهو اعتقاد أحمل وزر مسئوليتي
وحدى ، أن قد صدقت لية خروشوف في الالتزام
بمبادئ التعايش السلمي بل ظن أن تصرفاته
أقنعت الأمريكيين بصدق نيته هذه ، فماداً لو أن
أختلس منهم غفلة ، فيفاجئهم بموقف يفيق بهم إلى
شدوذ تلك الأوضاع المثيرة التي ما زالوا بها
متمسكين ... تعايش سلمي ارتضاه الجانبان ،
كما معنى الإبقاء ، بل الإصرار على التمسك بتلك
الترسانات الصاروخية والنووية المحيطة بالاتحاد
السوفييتي ... عشرات يضغطون بها وخزا في
الأجناب ... هاك إذن قاعدة صاروخية تحت
ذقونكم ... «وعليكم واحد !»

وكأنني أرى بالمداورات والمناورات السياسية
أو المحاولات الاستراتيجية إلى درك من دعايات
فجة ، أو أنني أهاون من شأن أحد أساطين السياسة
العالمية في العصر الحديث ! وحاشا أن يكون هذا

الحلاف الذى اشتد أوارده بينه وبين الصين ليس عقائديا كما أعلن تسترا على حقيقته أو متعلما بصدامات حضارية أو منازعات جغرافية لصا رسمة بعض معلقين - فتلك أوضاع تاريخية عميقة الجذور لم يثن بعد الألوان فتفدح شررا - انما هو صدع من حيث التخطيط الاستراتيجي وطلباته الملحة العاجلة ، اذ تنكر الاتحاد السوفيتي نوعود بذلك فيساعد الصين على الارتقاء الى مصاف الدول النووية ، تخوفا من مقارمة يقدمون عليها من خلف ظهورهم .

فقد قام « تنج هساو ينج » ، رئيس الوند الصيني في المؤتمر الحادي والعشرين بلجرب الشيوعي السوفيتي المنعقد في موسكو عام ١٩٦٠ فيتبادل متهاكما ، « وماذا لو وقعت حرب نووية! وماذا لو أيديت شعوب ياكلها ! انها حرب ربما قضت على سكان البلاد المتقدمة صناعيا ، فتلك أهدافها الرئيسية ، ولكن لن يسعها افناء الشعب الصيني جميعا ، يكفي ان يبقى منهم النصف أو نصف النصف على قيد الحياة » . هم النواة القادرة على فرض النظام الشيوعي فيسود « . انما حرب مآلها ، حتى في أسوأ ظروفها ، الى سياسة المباديء التي يؤمن بها جميعا « . يقولها نتيجة من يمدوهم الى الافتخار بهذا النصر المؤزر لبلادهم ، وانما كانت في سبيله أرواحهم جميعا ودمرت أوطانهم تدميرا .

ولست اعتقد أن كان في نية الصين اشغال نيران الحرب الشاملة بمجرد أن تضع يدها على السلاح النووي ، انما أن تصطب عود كتلة الدول الشيوعية في مواجهة التهديدات الامريكية المستمرة تلوح لهم بسلاحها النووي « . ابتزازا لمغانم اثر اخرى ، أرادت الصين فيما اعتقد أن تشعروهم بأن القرب هو المهدد بالضياع الشامل في حالة المواجهة العسكرية فعليههم اذن أن يكونوا أثبت جنسانا فاكتر حزما ، ولكن « تنج هساو ينج » خاته للأسف ، التوفيق فاشاع ذعرا قاتلا في نفوس اعضاء المؤتمر ، وجلهم اعضاء احزاب اوروبية ، قاست بلادهم ما قاست من أهوال الحرب العالمية الثانية .

ونقض الاتحاد السوفيتي اتفاهه السرى مع الصين ، فكان الصدع ! واشتد الحلاف بين البلدين فتكشفت المكامن عميقة الجذور للتناقضات بينهما

وصفها بأنه « خليفة من سليفة سياسة » (١) - عرف كيف أن يكبح من غلوائهم ، فيختار أسلوب محاصرة كويبا ، يحوم من حولها منذرا متوعدا ، وكأنه سيد الغلبة تجاسر دخيل فيتهجم على المشارف الى عرينه ، ولكنه حريص مع كل على أن لا يسد عليه المخارج ، أن لا يحصره الى مازم مسدود « . مبادا عريق من مباديء السياسة الدولية : أن تترك لعدوك فرصة التراجع ، أن لا تدفع بظهوره الى الحائط « . فان مع اليأس لسورة وائى سورة !

ثم هو التطبيق الرائع الفذ لنظرية « الوقفة » ، وقد مضت سنوات منذ أن شكل نورستاد تنظيمات القوات الامريكية المسلحة ، وصهرها تدريبا فتصبح اداة قادرة على الاضطلاع بما تتطلبه استراتيجيته الجديدة من مهام .

نعمه تحول خطيرة في مجالات السياسة الدولية افقدت نظرية التعايش السلمي توارثها الديموي السابق ، معد تشف حروشوف دون ان يدري عن خفي الاستراتيجية السوفيتية ، تشف عن اوارفه فيطمئن الجانب الامريكي الى ان نواياه قد أصبحت سلمية فعلا ، منزعه من كل ميل الى مخاطرة ، دون تقدير منه أن النظرية الامريكية تجاه التعايش السلمي كانت جد مختلفة ، اذ يستلزم عليها روح تلمس الفرص بغية احتيال ، ليس لها من رادع الا حيرتها في أين تكون قمة الخطر التي لن يتوانى الجانب السوفيتي ، ان هم تخطوها ، فيلجأ الى السلاح .

وهذا سحب الحيرة قد انقشمت فجساء ، فلا وازع ولا رادع الا أن يهدد الاتحاد السوفيتي في غفر داره أو أن ينتهك ذمار دائرة الدول من حوله المنخرطة في حلف وراسو ، وينظر الامريكيون الى تلك الاشتات من وقائع ، بدت أول الامر وكان ليس بينها من روابط فيلمسون فيها تكاملا يتشكل بها الى صورة متماسكة واضحة المعالم ، اذن فقد كان الاتحاد السوفيتي صادقا كل الصدق فيما أعلن من التزام بمباديء التعايش السلمي ، نابتا كل بادرة التجاء الى الاسلحة النووية ، وأن

(١) وجئت من المسير ترجمة التعبير الأصلي political animal فاحتفظ له بآيائه الشديد وإيحائه العميق ، الذي يدفع الى ايلد مما يوحى به نفس التعبير كما جاء به قلم « ارسطو » في كتاباته .

حتى كادا أن ينقلبوا إلى عدوين لدودين ، بل أشارت
الظواهر جميعا إلى أن خروشوف قد بيت النية
فيطرد الصين من حظيرة الكتلة الشيوعية .

ذلك الخلاف ، تلك القطيعة ، بل ذلك الانتظار
هو في حد ذاته اضعاف خطير للكتلة الشيوعية ،
التي كانت قد اتجهت فعلا ، في ضوء من تصرفات
خروشوف خلال أزمة انصواريخ الكوبية ، إلى أن
تنبذ تماما فكرة الالتجاء إلى الأسلحة النووية ، إلا
أن يهدد الاتحاد السوفيتي في مقتل !

اذن فقد كان خروشوف أيضا صادقا كل
الصدق حين أعلن أن الصراع بين الكتلتين قد
انصرف إلى مجرد التنافس على رفع مستويات
المعيشة ...

مفهوم التعايش السلمي بالنسبة للاتحاد
السوفيتي تحول اذن إلى سياج أو إلى ستار يسد
من حول مستقر مخزونه النووي ، في حين تحولت
به الولايات المتحدة إلى اعلام ترفع أمام الحركة
الدائبة لقواتها المسلحة بأسلحة تقليدية ...
قمة الخطر عند الاتحاد السوفيتي - الحد الفاصل
بين تعايش السلم والحرب النووية - هو أن
يحاول الجانب الآخر اقتحام حدود جغرافية
هي المشارف التي تكفل الأمن لقلب المقاييس
« الأوراسية » (١٢) ، وهذا يعني بالنسبة للولايات
المتحدة ، ليس إعادة فتح الأفاق التي غير حدود ،
وإنما على الأقل إشاعة الحركة فيها فتتسخط حيثما
لقواتها العسكرية أو لاحتكاراتها الاقتصادية
وجود . (٣)

ولقد عجزت قنصرت اذ ضمتني ، في أوائل

(٢) بعد كتابة هذه السطور ولد أوشكت على الإنهاء
من تحرير المسودة الأولى لهذا المقال ، واثنتي الأخير
التدخل السوفيتي في نيكوسولافيا ، مساء العشرين من
الغسطس ، مصداقا للرأي الذي أبديت ، فلا حاجة من
إلى اتهام أية تدخلات ، ولكنني أريد أن أتبه إلى أنه
حدث سوف يدفع الدول الكبرى حتما إلى إعادة النظر
في تكتيكاتها في ضوء من تطوراتها وخاصة إذا ما أدى إلى
ردود فعل عنيفة أو إلى عواقب إما غير متوقعة وإما بعيدة
الأثر ، أو كليهما معا .

(٣) ربما أن اتجه الاتحاد السوفيتي بعد غدا
٥ يونيو ، إلى إعادة النظر في هذا الخلل الذي طرأ على
موازن التعايش السلمي ، ولكننا أمور لا تبين لها آثار
إلا بعد أمم ، حين يتكامل توفير الاستعدادات المادية للكتلة
بإعادته إلى تصاب .

عام ١٩٦٦ ، ندوة إلى عدد من المهتمين بشئون
السياسة الدولية - عشره أعوام بعد حرب
السويس . وأربعة بعد أزمة صواريخ كوبا -
فأرى لسمتا يتمك انتظريه ، وإنها مسمة مظلمة
منزعه عن كل نقد ، الفاتله بأن حرب السويس
قد وضعت حدا فاصلا ، لا رجعه فيه - وهل تعود
عقارب الساعة إلى الوراء في ضوء من حتمية حرره
التاريخ ؟ - بين أساليب الاستعمار القديم
وتدخلاته العسكرية السافرة وبين الاستعمار
الجديد وأساليبه غير المباشرة في اقرار السيطرة ،
وتاء عنهم أن حركة التاريخ إنما هي إلى توليف
جديدة قوامها عديد من عناصر مستمدة من
أساليب قديمة .

والأسانيد التي جوبهت بها هي نفسها التي
كنا توصلنا إليها عام ١٩٥٦ ، توازن بوى رهيب
فلا تجسر أي من الكتلتين على الأقدام على معامرة
ربما أزلت بالعالم ، إذ تغلت الأعصاب ، إلى
حرب نووية شروس ، والمثل الصارخ الواضح
وهذا دولتين كبيرتين عن أرضنا ، منكرتي
النفس ، بفضل من مقاومة شعبية بأسلة ، لم
يوازها الضمير العالمي فحسب ، وإنما التوافق
أيضا بين وجهتي نظير الدولتين النوويتين
الكبريتين ، بعد وقد توافق الا عن شعور راسخ
مشتركة بخطورة المعامرة فتتدلع إيران الحرب
النووية .

نعم ، كان هذا صحيحا عام ١٩٥٦ ، ولكن
طرات من بعد على الموقف تحولات خطيرة ، وهذه
الشواهد عليه حية ملموسة ، فأسوقها ، ولكنني
أقابل بمن يهون من دلالاتها ، وكأنها هي رواسي
سلوكية أو انتفاضات لأساليب الاستعمار القديم
من « حلالة روح » .

ربما يطبق قول انقائل على التدخل الأمريكي
في لبنان عام ١٩٥٨ ، فهو سابق على التطورات
الحوية التي فصلت ، مجرد رد فعل إذ فوجئوا
بثورة « تموز » العراقية ، فلما أن تدبروا الأمر
أحجموا عن المضي بالمغامرة إلى مداها .

وما كان يحق لي ، ربما ، أن استشهد بالتدخل
الأمريكي في سيناء ودمتجو عام ١٩٦٥ ، فتلك
منطقة لها أحكامها الخاصة ، إذ انطبعت العقلية
الأمريكية على تقديس نصوص مبدأ مترو .

حتى الثالث من يونيو عام ١٩٦٧ ، ورغم تحذيرات رئيس الجمهورية ، ظلت قيادةنا العسكرية في غفلتها سادة ٠٠٠ وهذه تقارير عن مجموعات كبيرة من مدرعاتنا أرضعت بالماورة المستمرة بطول الجبهة وعرضها ، ليالي وأياما ، حتى فجر الخامس من يونيو نفسه ، فإذا ما وقعت الواقعة وجدت نفسها عاجزة عن الحركة ، مشلولة ، إذ تأكلت جنازير عجلها ، خديعة من أهداف لثيان الأعداء ، لا قدرة لها حتى على محاولة الدفاع وقد كادت عيون «طواقمها» وأوهنت طاقتها من فرط تطواف .

تصرفات من القيادة العامة لا تفسير لها الا اعتقاد راسخ بأن العدو لن يتجاسر فيهاجم ، فلنزد اذن من الرهبة التي في قلوبهم بهيحاء من صليل وقمعة ، فلم نجن الا وهنا أصاب العضلات التي استعرضنا !

ونظرة الى تلك المسئلة التي ذكرت ، استمنا لها فإودت بنا ٠٠ فمن أين جاءهم أن إسرائيل لن تهاجمنا الا اذا شاركتها في عدوانها علينا دولة كبرى ؟

وكأننا من الضروري أن تكون المشاركة سائفة علينا

لما حدثت في قلوبنا العسكرية التعمق في دراسة حرب السويس ، وانما علق بذهننا أن بن جوريون رفض بأصرار التورط فيها الا أن يحصل على وثيقة تضمن له اشتراك قوات بريطانيا وفرنسا الى جانبه ، وقواتهما الجوية بالذات ، حماية لأجواء إسرائيل .

وقد كان من الطبيعي ، إذ تكشف أسرار التواطؤ الثلاثي ، أن يضغط معلقونا السياسيون على هذه النقطة بالذات ، فيعلم الرأي العام العربي بأبعاد المؤامرة ، ويطمئن ضمنا الى قوتنا الذاتية ، كرادع لإسرائيل ، ولكن هذا التركيز في التعليق ، بل هذا الإفراط الذي جاوز الحدود الموضوعية ، رسدها لنا حقيقة قائمة بذاتها ولذاها ، وليس كما كانت فعلا مجرد وضع أملت الظروف حينذاك ، فتسدر بعقول قياداتنا العسكرية الى طمأنينة خادعة ، وبهملاو التعمق في دراسة مرتكزات الخطة الإسرائيلية كما كانت ، سعيا الى استكناه اتجاهاتها المحتملة في المستقبل ، وكأننا الظروف

ولكنني دفعت الى المناقشة بمثلين سافرين ، حرى بمن أراد أن لا يعتصم بموئل من نظرية ، عفت عليها تطورات الاحوال أن يعيد تقليب الأمور : التدخل الثلاثي ضد الثورة الكونفولية في يناير من ١٩٦٥ ، وبعده بشهر واحد ، وكأنما هو التحرك السريع تطبيقا وتأكيدا لأركان نظرية استراتيجية جديدة ٠٠٠ بدء الغارات الجوية على أراضي فيتنام الشمالية !

في يناير من ١٩٦٥ تهاجم سستانلي فيل - كيستجانا الآن - بقوات مظلية بلجيكية ، تحملها طائرات أمريكية ، ألقنت بها من قواعد بريطانية ! وفي فبراير - بعد أشهر قليلة من تلك الذريعة التي اختلقت في خليج تونكين - تساقط القنابل من القاذفات الأمريكية على فيتنام الشمالية - البلد العضو في الكتلة الشيوعية - ومتى هذا ؟ وهل بعد هذا دلالة ! نينسا كوسيجين في زيارة رسمية لهانوي !

ارتداد سافر الى أساليب الاستعمار القديم بتدخلاته العسكرية السافرة ، متحدية الرأي العام العالمي في وقاحة وتيجع ، بل تتجاسر عبر حدود التوازن النووي الرهيب ، فلا شك اذن أن قد جعلت الظروف الدولية جديدة ، ولم يعد حرب السويس حدا فاصلا كما كان حربا بها أن تكون !

وانها لأمور لم تخف على قيادتنا السياسية ، في حرصها البالغ على تنسم رياح التغيير في أفق الاستراتيجية الدولية ، ولكن غفلت عنها للأسف جمهرة من مثقفين من المهتمين بشئون السياسة الدولية ، فقصروا عن توعية الرأي العام المحلي بأبعاد ذلك التحول الخطير ٠٠٠

تحول خطير ارتبط بمفاهيم لنا حيوية ، لم تنعكس لها آثار في تلك العقول المهيمنة على القيادة العامة لقواتنا المسلحة ، فقد ظلت على اعتقادها الراسخ بأن عصر التدخل الاستعماري السافر قد ولى ، وحيث أن - وتلك مسلمة أخرى خطيرة استناموا لها - إسرائيل لن تجرأ قط على مهاجمتنا وحدها ودون معاونة صريحة مباشرة من الدول الاستعمارية الكبرى ، أو أحدها على الأقل فطينا اذن بتلك « البطيخة السيفي » ، لا هجوم من إسرائيل ! بل ولا جراءة لها في التفكير فيه حتى ٠٠٠ مهما كان !

الموجهة لها وجود ، والشواهد على ذلك لا يتسع المجال هنا لتفصيلها - على أن قد أعدت العدة لمواجهة أسوأ الاحتمالات ، ان خاها التوفيق فيما خططت انتزاعا للمبادرة .

هي المؤسسة السرية المهيمنة على الصهيونية العالمية . وليس المؤسسة العسكرية الاسرائيلية كما قيل ، اذ ليست هذه الا مجرد فروع ضمن فروع عدة. يؤتى بأفرادها أو ينحون عن مراكزهم حسبما يقتضى الحال ، فلو أن راجعنا المخططات الرامية الى مساعدة اسرائيل لأذهلنا اتساع نشاطها على المستوى الدولى جميعا ، شاملا لاتجاهات شتى ، تم التنسيق بينها فى دقة بالغة .

اتجاهات لو أن تعهدتها حفنة العسكريين لانصرفت اهتماماتهم عن صميم واجباتهم. فتتصدر الحال بالقيادات الاسرائيلية الى مستويات كالتى رزنا بها . بل اتجاهات تقصر عنها ، ليس قدراتهم فحسب ، وانما قدرات كل من قيادت تصرفاته ببقود يفرضها الانتماء الى جنسية معينة، فلو أن كل جولدرج ، وهو من غلاة الصهيونيين ، اسرائيل الحسية لما أمكنه أن يسدى الى اسرائيل ما استاده وهو متدرب امريكا فى مجلس الأمن ، زملة البارون روتشيلد، فلو لا جنسيته الفرنسية، لما كان له هذا الأثر فى بلبلة الراى العام الفرنسى، وقس على ذلك ...

الركن الركين فى تخطيطات الصهيونية العالمية أن قد نجحت ، بأساليب مستترة خبيثة من عمل دائم متصل ، فى تهيئة الضمير العالمى ، غداة العدوان ، فلا يسكت فحسب عن احتمالات تدخل الدول الكبرى ، بل نفتت فيه بذور هستيرية فيطالب ، بل أن يلج عليها بالتدخل اذا ما تطورت العمليات لغير صالح اسرائيل ، وهذى حليقة اسرائيل الكبرى ، متربصة متاهية بأسطولها السادس ، يقتحم المياه الاقليمية العربية ويجوسها مزجرا متوعدا ، بل يكاد أن ينساح زحفا الى سواحلنا من فرط لهفة .

ولكن ماذا عن القوات الجوية المصرية ، وقد أصبحت أقوى من ذى قبل أضعاف أضعاف ! انه الخطر القادر على تهديد كيان اسرائيل بمجرد أن

من حولنا ثابتة مستقرة على ماهى عليه الى أبد الأبدن ، بنجوة من رياح التغير التى يدفع بها جموح التقدم التكنولوجى ، مكتسحا أمامه كل قديم كأنما الأعاصير .

اسباب جوهرية دعت اسرائيل الى الاصرار على أن تشاركها دول كبرى فى مقامرة السويس ، اولها عامل استراتيجى حيوى - وسرى كيف أمكنها فى عدوان يوتيسر أن تدرا من خطرهم بالتخطيط له - تخوفا من القوة التدميرية لسلحنا الجوى اذا ما وجه الى أهداف مكتظة بالسكان - ولا مفر ، فالرقة الجغرافية لاسرائيل جد صغيرة - فيحتتم إذن الاعتماد على قوة من خارج قادرة على أن تشل طائراتنا عن العمل ، ثم يصد ذلك عامل نفسانى لا يلتفت اليه الا من عكف على دراسة الشخصيات الاسرائيلية الحاكمة - دراسة لا غنى عنها بأية حال - فان الفاصل بين شن الحرب أو الركون الى السلام ، حتى فيما يتعلق بالدولتين الصلاتيتين ، انما شعرة دقيقة متعلقة بقرار يتخذ آخر الأمر شخص فرد - مهما تضيخت اكوام التقارير ، وتنازع الراى فرق من مستشارين - فى ضوء من موازنة بين كفتي قرار مرتبط اشد الارتباط بتكوينه النفسى بعم كل ، ورغما من الصورة البطولية التى حكمت حول بن جوريون ، وكأنه شخصية أسطورية متنزعة من اسفار الاولين ، مفوار مقدم ، نعم ، ربما هو كذلك اذا ما حزم امره ، ولكن دون ذلك ، وفى تلك الاوقات العصيبة التى تسبق اتخاذ القرارات ، فهو قريسة للمخاوف والشكوك ، متارجح أبدا بين آماد من تفاؤل مطلق وتشاؤم حالك بهم ، صورة مناقضة تماما لأولئك الرجال الذين انتقلت اليهم مقاليد الأمور ، حين أعيد تشكيل الوزارة الاسرائيلية ، فدخلها موسى ديان ومناحم بيجين ، أولهما لا يؤمن الا بالحرب ، والحرب الحافظة المفاجئة - الحرب الوقائية كما يسميها ولكنها فى الحقيقة الهجوم الغادر الآن وفورا ! وثانيهما سقاح ، نزاع يحثن الى ذكريات مذبحه دير ياسين ...

ثم انهما لم يبقزا الى الحكم عنوة ، وانما أتى بهما وقد اطمانت المؤسسة السرية المهيمنة على الصهيونية العالمية - فلا شك أن مثل تلك القوة

السيطرة. وكأنها ليس من هم لأي من فائدة محطتنا الجوية سوى المباشرة بما تحت امرته ، فالأهداف - أمام إسرائيل مكتظة بالصياد السمين النسيم ...

ومن هنا كان الاعداد المتواصل ، المعتد على مدى من سنوات - وقد رسمت في أماكن متفرقة من صحراء النقب نماذج تصيلية لقواعدنا الجوية جميعا - بالتدريب على طرائق الهجوم ، وأفضل وسائل الدمار وإنجتها أنرا . تدريب شاق متصل لا يعرض على الطيارين الذين هم قوام القوات الجوية الاسرائيلية محسوب . وانما - بفضل من تلك النظريات التي هي من مقومات الوجود الاسرائيلي - على كل طيار يهودي يؤتى به من مقارب الأرض . أكثرهم صباط عاملون في الجيوش الاستعمارية . في فترات منتظمة ، يؤدي كل منهم فريضة هي عليه موقوته ، فإذا ما أذنت الساعة استدعوا على عجل فينخرط كل منهم في مكانه المهدى من اطار مرسوم .

معد بـ نصفية دقيقة أملت بها اسرائيل ... تم اد تمع الواقعة تدخلات الكترونية ... الى ... حى ... عولا من ... بعد ... الاولى ... من ... طائرات ... القدرة ... من ... التي ... بال ... الاقدار ! - امطرتنا بحجارة من سجيل !

كانت الضربة الاولى قاصمة . وقيادتنا العامة في حالة من ذهول ، لا تجد من متعلق الا تلمس فسحة من وقت فريما أن جاءتها نجده من السماء أو أن يقع معجزة ما ... فتلقا الى اندح أخطائها جميعا . اذ تخفى حقيقة الموقف عن القيادة السياسية !

وفي لحظة ظنتها من تجل ، ومضى في ذاكرتها أن انسحاب قواتنا عبر القناة عام ١٩٥٦ قد انعقد الموقف حينذاك ... حقيقة أخرى استندت الى سائف ظروف وملابسات ، فاختزلتها بعض عقول الى ثبت من مسلمة مطلقة ، صحرية الأثر ، اكيدته المعمول اذا ما تازمت الأمور .

ولكن أوامر الانسحاب عام ١٩٥٦ صدرت بينا قواتنا لم تكن قد حشدت هذا الحشد الذي كان

تبدل شرارة الحرب ، انه الخطر الذي لا يسمح للتدخل الاجنبي ، كما رسمت خطواته - بقسحة من وقت ، انه الخطر الذي كان أقصى مضاجع بن جوريون فيما مضى قصر على الحصول على عون خارجي مباشر ليشمل من فعاليته ابتداء .

خطر داهم ! وأخطر منه التقاضي عن مواجهته ، ولا قبل لهم به الا بتدخل من خارج ... مبادلة عويصة أفضت تفكير رجال اسرائيل منذ ١٩٥٦ . ومن هنا كان التخطيط لاستغلال طاقات نستمد من تدخل اجنبي يغلف بتستر فلا تبين له معالم .

اتجاه متوافق تماما مع المنطق الاسرائيلي في تحالفه الوثيق مع الامبريالية الأمريكية ... ولكن قيادتنا العسكرية غفلت عنه ، بل لم تمن حتى بدراسة الفكر الاستراتيجي الاسرائيلي عسى أن يعرض لمخيلتها عن احتمالات هذا الأمر خاطر .

كلا ! بل هي صورة قاطعة من « أبيض أو اسود » ... اسرائيل لن يجرأ على التفاهة .

لهجوم دور مسدده حسب ... في المقام الاول ! وقد رفض الرأي العام العبري هذا الوضع فادانه عام ١٩٥٦ هكذا كان ... سوف يكون ... « وبلا قلة ...

ولكن العالم كان قد اعلم ... (...) ، وليس ... حق ... اسرائيل في الرد على حملات الفدائيين (كذا !) و « البركة » في قصور ... بل في الجوامع العشوائية التي ألجت بها وسائلنا الاعلامية) فهيننا لقيادتنا العسكرية و « بطيختنا الصيبي » . فما أحلاها مذاقا في الاسمييات حين تصفو جلسات الانس والفرقة وقد انعدل المزاج !

أما على الجانب الآخر ، فقيض من معلومات تترى ، وخاصة تلك المستقاة من خرائط تجسسية دقيقة ... مواقع أجهزة الرادار وتقصيلات عن أنواعها ومدى كل منها وزواياها الراصدة ، ومن ثم تحديد صام للثغرات التي بينها - مخاضات ضحلة أي نعم ! ولكن هالك هي مراغا لمن عرف كيف أن ينهر الطريق عبرها ، ثم مواقع مطاراتنا ، سمحه بصوف وصوف من صراب مبراهة . براءة بالوانها الفضية فلا تمويه ، دون ما كفاية من حماية أو وقاية ، فاننا مولعون بمركزة

المبدأ القويم ، كما أقول ، ومع ذلك فالخطر كل
الخطر التثبيت به على علاقته مسلسلة مطلقة ، فقد
رأينا ، عام ١٩٥٦ ، كيف تضاعفت علينا ظروف
شاذة أجبرتنا على المفاضلة بينهما ، فكان القرار
بالتصحية بالقناة فداء لمصر ، بل أن ملايسات
الوقف الدولي أعطينا ، إذ ضحينا بالقناة ، سلاحا
نهدد به مقدرات دولتي السودان الكبيرتين في
الصميم ، فكانت نجاة مصر المتطلق إلى استعادة
العناة .

جيوشنا عن التقدم عائق ، بل أن قد تملكهم ايمان راسخ بأن تلك الهائلة التي أخذت عليهم وقتهم وبحيكتوها من حولها - أقوى قوة صاربة في لشرق الأوسط كما كانوا يقولون ، المدعمة بصواريخ موجهة افنتوا ، ليس في اعدادها للعل الجدى ، وانما في اطلاق الاسماء عليها وفي طرائق عرصها أثناء الاحمالات الرسمية المهمة - هي وحدها الرادع ، كليل بارهاب العدو فلا يتجاسر . . .

ثم أن عمليات الانسحاب ، حتى في تلك الحالات التي يكون قد احكم التخطيط لها مسبقا ، هي اخطر ما يمكن أن يواجه به قائد في الميدان ، وخاصة اذا كانت الحرب حرب حركة على الأرض العراء ، انها المحك الحقيقي لقدراته ، فكيف مراعاة يطفى عليها فيخيمها نجاح طاريء في حالات الهجوم ، أما في عمليات الانسحاب فان الزلة ، ان لم تتدارك فورا تنقلب الى كارثة محققة .

النجاح الطاريء الذي تحرزه وحدة من وحدات جيشنا في انسحابات بعضها حساسا أو ساعدت العدو ذعرا مفاجئا ، أما النجاح الذي حققته وحدات جيشنا من انسحابات فلاحية أو جواررية ، فمجرد مجرى الى مسابقة زمن ، أو من انسحابات فلاحية أو جواررية ، أو من انسحابات فلاحية أو جواررية .

نعم ، فإن سعيها الى مزيد من سلامة ، من حيث ظروف زمان أو مكان ، خارج دائرة التنسبيق الصادم بينها وبين أوضاع الوحدات الزميلة ، ربما افقد هذه دون أن تدري تلك ، مرتكزا هو ضرورة لها لازمة ، فتعجز اذ يحين دورها عن الاصطلاح بنا نيط بها من مهام ، وهكذا بالتبادل وعلى التوالي .

ويمكن أن يقال بصفة عامة ، وفي صورة من بسيط ، ان أول واجبات القائد حين يتقرر الانسحاب ، هو توجيه عدد من وحداته الامامية الى حيث الخطر ، فيدفع بها الى هجمات شبه انتحارية ، تستمسك بمواقعها فلا تتزحزح عنها مهما كانت الظروف ، الى أن تتمدها قوات زميلة ، وظيفتها احتلال مواقع دفاعية الى الحلف منها ، فإذا توطدت فيها أصبحت هي المؤخرة الجديدة ، ومن ثم مرتكزا

مع عدو مهاجم ، اذ يتحتم عندئذ على الوحدات جميعها أو بكاد ، المناورة بطول الجبهة وعرضها ، أن تخضع في تحركاتها لحساب دقيق أى دقة ، متعاشق حركة كل منها على حدة مع الصورة التكاملية لمجموع التحركات الأخرى ، ومتوقفة الحركة التالية لأى منها على ما أحرزت زميلاتها من نجاح ، أو ما يكون قد أصابها من فشل فيتدارك

انها اشبه ما تكون بحركات النغم المتآلف وترابطاته الإيقاعية المتشابكة في المتتابعات وسيمها ، الا انها ليست ههنا نقلا عن نوتة ، أحكت تفاصيلها فيلترم بدقاتها القائد في الميدان ، بل هي حثيرة شديدة عريضة ، تجابه حلال السيفيد بنواشز مفاعلة ، فيقابلها فورا ، وباللمية من بدبية ، بافتداعات - وكأنها هي مرونة تنفيضة فائقة - فيعود بهذه التنويمات المتكررة الى الخط الإيقاعي الاصيل ، أو قل انها عملية خلق فوري لتوافقات من إيقاعات مركبة متغيرة ، ولكنها مشدودة أبدا في سعيها الى تحقيق آفة من حاتمة هي الهدف المنشود .

بعمية أمد ما يك
كره صبره - عذابه
يريد عن حظه أو فعل -
في غم وفي مسعى حثيرة

من خطط الانسحاب تبادلية - فليس بوسع كائن من كان التنبؤ بأى الاسباب سوف تفرض ضرورة الانسحاب - فإذا ما حزم القائد في الميدان أمره ، أخطر قيادات الوحدات بالاسم الرمزي للخطة التي اختار تطبيقها ، محكما في الوقت نفسه قبضته على زمامها جميعا ، موثقا بها اتصالاته كل التوثيق فواجه تطورات الموقف المتسارعة ، أولا قاولا ، بحساب من دقائق وثوان .

ومن حق قواتنا المقاتلة علينا ، وانصافا لها ، التوقف قليلا فمتسائل عما اذا كانت القيادة العامة قد تدارست الموقف من قبل مع القيادة الميدانية ، فنعد ولو حطة انسحاب يتيمة بلحا إليها اذا ما أوحيا لها الحال ، كما يفعل جميع القيادات منذ أن أصبح للحروب أصول ، فأقول في ضوء ما رأينا وعايينا أني لشك في هذا كل الشك ، اذ لم يخطر للقيادة العامة قط أن سوف يعوق

أما عن ذلك السلاح الآخر المزعوم ، انسداد القناة - وأنه لفي حقيقته ذو حدين - فقد انقلب عليا وعلى أصدقائنا بخسران .

كانت الدول الغربية قد وعدت دروس عام ١٩٥٦ ، ففتحه وبيدا إلى استحداث الوسائل التي تعينها على تجاوز العقاقب التي ربما واجهتها مرة أخرى : الناقلات البترولية الضخمة القادرة على نقل النفط ، دون ما زيادة مرهقة في التكلفة ، من حول رأس الرجاء الصالح ، متجنبه مجرى القناة .

وعاونها بعض الشيء في مسعاها هذا ظهور الكشوف البترولية في مناطق أخرى جديدة ، خطوط المواصلات منها واليها ببناء عن منطقة القناة ، لا يضيرها لو أن لم توجد أصلا - كما في ليبيا وأقليم بياض - أو لا تموزها إليها حاجة ملحة ، فلا زيادة مرهقة في أعباء التكلفة - كما في يروناي وغيرها من مواقع متناثرة بامتداد جزر الهند الشرقية .

بلى كان أمام بياتنا العامة كشوف احصائية للحركة ... بحمراته مواصلاتها لشعراء لكن بعضا من حسن ظن ، فأقول ولكن تطورات الأحداث ... أن ما كان بمقدورهم أن يعوا ... مع ما دفع بحب أعمارهم ... من بوارع وطفعات لا سمحنا إلى صميم واجباتهم بسبب .

انها أسلمت دون أن تمى لأعدائنا سلاحا رهيبا لا يتمثل في احتلال العدو لجزء عزيز من أرض الوطن فحسب ، وإنما أن يصل بمواقعه حتى شقة القناة ، فتقتدر بعض من معاقنا الاقتصادية ذات أبعاده الاسرائيلية . وبعد من مدن مكتظة بالسكان ، داخل النطاق المؤثر لمدينته ، نهب لما قد ينتابه من نازق نزوات .

من حياه نفسها فقد أفلتت من سيطرتنا ، لا تملك حتى القدرة على تطهير مجراها حين نزع ، منسفة في وجه التجارة الدولية ، انحبس عنا عائدها من عملات صعبة ٠٠٠ وإلى متى ؟ فلسنا ندري ، إنما رهن بإعادة عديد من أوضاع إلى نصاب - وهل تعود ٠٠٠ إذا ما رسخ يمر الزمن اعتماد حركة النفط على الناقلات الضخمة .

لمن استحكم فيها القدرة على السيطرة على التحركات ، أيا كانت ، من مصر واليها . انها معاقل لا يقرط فيها أى ذى عقل أو ادراك ، حتى يتم سحب جمة القوات عبر القناة ، لو أن كان للاستحباب عبر القناة ضرورة ! الا أنه لم يكن للتضحية بالقناة من لازمة سوى تلك التهيبات التي استلهمت ، وكأنها الوحي ، من واقع ارتكز على سالف ظروف لم يعد لها شبهة من وجود .

لم يح صاحب القرار الا أن انسحاب ١٩٥٦ استخلص لنا من برائن هزيمة مرتقة سلاحين رهيبين : انسداد القناة فيضطرب تفكير الدوليين الكبريين المعتدتين إذ يملكهما جرز قاتل أمام احتمالات استنزاف مواردهما ، فليس أمامهما الا الاستعاضة عن نفط الشرق الاوسط بأخر لا يباع الا في سوق الدولار . ومن ناحية أخرى ... تهيأ لنا استنقاذ الكتلة الكبرى من قوس ... وزعت على أحياء المدن الواحدة ... الى أداه رهبة فاداه ... الشوارع الضيقة إلى عتقت ... ركن عرس عليها نوعا من ... حرب الشوارع - تبعثر قوا ... وتسليها فرصة احقاق القصد ... لا بديل لها عنه في ظل الظروف الدولية السائقة ، الا أحرار النصر سريعا ، وخلال أيام ، والا فقدته .

أما قرار الانسحاب هذا ، بل قل تلك الاستصراخات ابوجه التي كن ... هي ، متخطة القيادة في الميدان ، متراوحة بين حواري ووجوه الطرح - إذ رفض لأدعنا - سحب بعض قادة وحدات - فقد صدعت بتلك الروابط الخفية التي هي قوام كل جيش (٤) ، فتجيلة من قوات نظامية متماسكة إلى اشتات تشذبه الدعاء ، فلا هم لها الا محاولة الافلات من مصير بدا وكان قد بات محتوما ، فريسة سهلة لقوارع العدو تحذوه شراسة تصميم ، فيطحن بهم الأرض طحنا ، كما دأب حيث مطروق .

(٤) أهمها الروابط العسكية ، فدوبا بعد الحشر ووجه المتربة ومن ثم كيان ، ومن أراد الوقوف على ماحة تلك المقومات فقد عرس لها سيحמוד قروب في أحد قصور كنه من ٥ علم نفس الصلابة وحمل الألبا ، وقد ترجح الى عدة لغات .

وطالما لم يحن وقت الالتجاء الى « الحس العسكري » ، فالأمور ععلقة بخيوط تمسك الولايات المتحدة بأطرافها ، بفضل من هيمنه متزايدة - داخل أروقة الأمم المتحدة وخارجها - أطلقها بها الموقف اذ تعاقم .

نعم ، فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية - وبالتالي ربيتها اسرائيل - هي المستفيدة الأولى من اسداد القناة ، وهبت من حيث لا ندري أداة صفط بعيدة الأثر ، اقتصاديا وسياسيا ، بل وعسكريا بالاضافة ، « فوق البيعة » كما قد يقول العامة .

« الدبجولية » كانت وما تزال التحدى الأكبر للنموذ الأمريكي المتفلفل الى أدق حنايا اقتصاديات أوروبا الغربية ، موقف قرنسا الصليب داخل السوق الاوروبية المشتركة وخارجها هو الذى اشاع نسمة من تحرر ، بدا وكأنها قد بدأت تداعب عقول بعض من كبار رحالات الأعمال فى أوروبا - بعد « من ردع اذ صدمهم مصرع . . . » - وان تسمم الح - رقى هفوه ابتداء ، لمسكر أبدا ، آخر الأمر النخوة الوطنية ، أم أن - الأوربية . وقد ت ثقت سنها .

فإذا ما عتده سسد مدع - الدعامة حرية كانت أن تمن من كان قد أزعج فيتصدى لريقة السيطرة الاحتكارية الأمريكية أو أن يتخلص من خناق استثماراتها المتفائلة .

ونظرة منا الى ايطاليا ٠٠٠ دولة البحر المتوسط التى ربطتنا بها أوتق الأواصر منذ القدم وعلى مر الدهور ، هي نفس الدولة التى اختلجت أوساطها الصناعية بنفثات من روح « انريكو ماتى » المتوثبة - فاليه يعود الفضل الأكبر فى سببه قبضة الاحتكارات الأمريكية على مصادر النفط العربى ، فتنزع ابتداء دول المنطقة لنفسها نسبيا أعلى من فائض الأرباح - نظرة منا الى ايطاليا ٠٠ هى الى جانب ذلك كله أكثر الدول الغربية تأثرا بالمرور بقتنة السويس ، فنراها - ولا عجب فهالك السبب ! - الدولة الوحيدة من دول المتوسط التى اتحازت جهارا نهارا الى اسرائيل . وإن حداول الاقتراع على قرارات الأمم المتحدة فى هذا الصدد لشاهد على ما أقول !

كلا ! بل الهبت فيها المشاعر ، وكأنها مبتعدة

بعد طول احتجاج ٠٠٠ انفجالات هستيرية ، تعود بهم القهقري عبر الزمان ، فيؤدون التحية لقادة اسرائيل ، افتخارا بهم ، وكأنهم أبطال العصر « الموسوليني » المجيد .

واين اذن اصدقاؤنا الذين تصرف من أقطاب الحزب الحاكم ؟ أين كلمة الصديق التى كان عليهم أن بدعوا بها ، ليس دفاعا عن حقنا ، وإنما افصاحا عن رأى آمنوا أن فيه مصلحة بلادهم آخر الأمر ، ابراء لثمة ضمير وإيفاء لعرض أمانة منصب أو مكانة ؟ كم من عرة خلال جلسات صاخبة للبرلمان الايطالى سمعنا عن عضو يسارى قام يندد بالعدوان الاسرائيلى ، فلا يحظى من هؤلاء النفر الا بايماة تنسرق بها الرأس ، يود صاحبها لو أن غاص بها بين كتفيه ، فكانها اختلاجة لا ارادية وليس ابداء لرأى عليه احتمال وزره .

ولكن أكثر الدول تأثرا باستمرار انسداد القناة هي قطعا دول الكتلة الشرقية الصديقة ، ~~التي~~ يحواسها على حوض المتوسط وامتداداته ، وسعود . اذ عطلت أسباب ~~التي~~ الى آسيا وشرق افريقيا ، ~~التي~~ معها بالضرار فادحة ، بل ~~التي~~ من ~~التي~~ لاحتلال لاحتلال امدادات الاتحاد السوفيتى نافذة الحيوية الى جمهورية فيتنام الديمقراطية ، وتعرض عليها أعباء النقل البحرى الطويل من موانئ البحر الأسود عبر المضائق ، عبر جبل طارق ، وأخيرا حول رأس الرجاء الصالح صوب جنوب شرقى آسيا ، أو النقل برا ، باهظ التكاليف ، عبر القارة الآسيوية جميعا الى فلاديفوستك وغيرها من موانئ المحيط الهادى .

فإن تتوعر سبيل امداد فيتنام بالمؤن والسلاح ، وأن تنقل دول الكتلة الشرقية فى علاقاتها التجارية مع عديد من دول العالم الثالث ، وأن تلجم اتجاهات التحرر الاقتصادى لدول أوروبا الغربية . أى أسلاب تلك افاء بها انسداد القناة على الولايات المتحدة ، وآكاد أن أقول فى غفلة من تطلع ، أو من تمن حتى ٠٠٠ اتحفها بها قرار أخرق بأن تنسحب بقواتنا من سيناء .

ليس عجيبا اذن ما نراه من موقف أمريكا المنحاز ايجازا كليا لاسرائيل ، إنما العجب لو كانت أحجمت عن التذرع بطل وتسويق ، استعصارا

لا يدره عليها هذا الموقف من فيض عثم ، أناها دون ما عزم !

قرار انسحاب *** بل استصراخات نائسه وجهت الى الوحدات أينما كانت وكيعما انقى . دون ما تقدير لمستلزمات الانسحاب من ضرورة احكام سيطرة التوجيه مركزيا من القيادة التي في الميدان ! بل جهالة مطلقة ، وكأنها القيادة العامة لم تقع لها عين على خريطة شبه حرره سباه فتبرز لها من خلال تضاريسها اعداء اعلمها الاستراتيجية البالغة .

دع عنك جميع تلك الأخطاء التي تمثلت في الدفع بخبرة قواتنا الى مواقع أمامية - وكأننا متحمزة للانقضاض - في حين اتجهت النية السياسية الى التريث فتمتص غلوات الضربة الأولى ، استعدادا لتوجيه ضربتنا المضادة .

دع عنك تلك اللامبالاة ، فلم تدرب قواتنا فتتمرس بأساليب حرب الحركة ، وخاصة أثناء الليل .

دع عنك أن أوامر الانسحاب صدرت بين ٨٠٪ أو أكثر - ما نزال نرى - ثم نسمح بعد العدو ، وقادرة لو أن هادسا الميدانية سيطرتها المأثرة - فننتفض على المدرعات الاسرائيلية - بعض مواقع من خطوط اعمها سمحنا ، وهي مرمية بعد طول قتال

دع عنك حتى هذا الخطأ القاتل اذ تكتمت القيادة العامة عن القيادة الميدانية السبب الذي دفعها الى تمجيد سحب القوات . تحول سلاحنا الحوى الى حطام في أقل من ثلاث ساعات ، وكأننا هو سر الأسرار ، في حين انها حقيقة مروعة تصكهم في كل لحظة آثارها ، وابل من متفجرات وعاصف من حميم مصهور ، بينما لو ووجهوا بأصل العلة ابتداء ، لسارعوا فيفرضون على الانسحاب أسلوبا من انتشار ، ولا يقضي مع ما ضاع من ارواح وعتاد ، ولا تضطرب النفوس فيترزعزع الايمان اذ يدهمون من حيث لا يعلون .

دع عنك ذلك جميعا ، انما الكارثة التي أودت بجللة مدرعاتنا وبآلاف من صفوفه شبابنا المجند ، هي تلك اللهوجة التي أحالت جيشا نظاميا الى أشمات ليس لها من هم الا الانطلاق - النجاء ! الهاء ! صوب القناة !

ليس جميعا ، فهناك عدد من وحدات سيطر عليها قادتها وتماسكت وصمدت ، وقاتلت قتال الأبطال .

ولكن قوام الجيش ليس في صمود بضخ وحدات ، هنا أو هناك ، وانما في تماسكها جميعا فقتسماند *** كل لزميلاتها ركيزة ودعامة .

الكارثة كانت في تلك اللهوجة ، ترتب عنها احطاء الممرات التي هي المصانع الجغرافية لشبه جزيرة سيناء . الكارثة في أن لم ينتبه صاحب قرار الانسحاب فيسبقه بأوامر صارمة للوحدات المرابطة من حول تلك الممرات الحيوية ، ليس بعدم اخلائها فحسب ، وانما بتنظيمها وتحصينها ، وخاصة ضد الهجمات الجوية ، امسك العدو بزمام الأجواء .

لو أن فطنت القيادة في القاهرة للأمر ، لتخطمت موجة الهجوم الاسرائيلي عند تلك الممرات ونكس عنها منكنة الصفوف *** كلا ! بل لاكتفت بالانسحاب الاسرائيلي بالمناوشة عند معسكراتنا ، ان يحسب فتحاول اقتحامها *** . لو أن فطنت القيادة في القاهرة للأمر ، لتخطمت موجة الهجوم الاسرائيلي عند تلك الممرات ونكس عنها منكنة الصفوف *** كلا ! بل لاكتفت بالانسحاب الاسرائيلي بالمناوشة عند معسكراتنا ، ان يحسب فتحاول اقتحامها *** .

ورغم هذا الخطأ الفادح ، ورغم أن جيشنا بات مكتشف الظهور ، عرضة لأن يعتور من خلف ، فكم من قادة وحدتنا في الميدان تدمروا ، اذ استمروا الى انسحاب ، ليسبون قيادة الفاعلة من الوحدات الاسرائيلية في تقدمها المستمر الحاطب . قد استغفدت مخزونها من وقود وذخيرة ، وأن طواقمها ، يكادون أن ينهواوا من فرط اعياء ، ولكن الإذنان كانت قد صمت ، أم انها كانت تستفز وكأنها الادلاء يمثل هذه المعلومات بمثابة شكك في صحة تقدير قرار الانسحاب فبادرة من تحد ، أو اهدار لوقت وجب تكريسه لافاد تلك الخطأ ، التي تنقذت عنها المعية صاحبها ، فيعود بمقارب الساعة الى الوراء ، الى تلك

الأوضاع التي انتزعت النصر من براثن الهزيمة
عام ١٩٥٦

وكانت الكارثة ! اذ تخلى تلك الممرات الحيوية
من القوات المربطة بها ، فهي القوات الأقرب الى
منطقة القناة ، حرية بأن يتم سحبها قبل غيرها
- يا للأذهان المتفتحة ! - وكأننا الانسحاب هو
مجرد عملية « الحق وديك في اسنانك » .

« هذه الاسراتيجية غير غاملة عما تم ، فهي
دائمة التضمنت على اتصالاتنا اللاسلكية ، مسيطرة
على الأجواء تقريبا ما يجرى على الأرض . وكاننا
في كتاب مفتوح ، مدركة تمام الادراك للأهمية
الاستراتيجية القصوى لتلك الممرات ، فتنفذ اليها
قوات « مظلية » تسقطها من الجو ، وتتخير من
قواتها البرية ما تحدد به حيثما صوب تلك
الممرات ، تسارع اليها لا تلوى على شيء ،
مواصلة آتاء الليل بأطراف النهار ، متجنبة
الالتحام مع أي من قواتنا المتناثرة هنا أو هناك
بل تحاولها متفادية مواقعها ، تراويعها فتوتها ،
في وعى تام بأن انتزاع الدقيقة بل الثانية مساء
احكام الحصار من حولها جسعا ، يد سعسا
كيف أنها في تعجلها لم تلتفت حتى إذا ما تقرب
عن بعضها البعض حتى يوازي بعضها بعضا ،
بعضها بعضا بخاربا ، لا يترك
على شيء ، تسابق الزمن وتودع هو أن تسيقه
وكاننا ابتسائنا لجوهر تلك الصورة الموعلة في
القدم ، وانتهت بها أسفار الأولين ، اذ تدرك حيوش
الملوك الأموريين الحسنة المتحالفين يوابل من
سجبل ، ثم يسارع الرب فيوقف حركة الزمان ،
فتكتمل ليسوع بن نون فرصة القضاء على أعداء
بنى اسرائيل .

هذا وقواتنا التي تم حشدتها على مدى أسابيع
والهال ، ماتزال متناثرة يقضها اقتضاضا على
صحتها شبه حرج سلسا ، ودا ما تكافح
صغرها ، مبرحة ، مبدعة شاك ، معسة
عبور هذه الممرات بخوافها الرهيبة ، قليلة
العدد ، حصلت حصدا وكانها الهشيم ! ممرات
صهرت عند مداخلها معدات جيش نيناه بما
اقتطعناه من قوت الشعب طيلة سنوات عشر ،
ممرات فاضت على جنباتها أرواح الآلاف من زهرة
شبابنا ، تعلقت مقاديرهم ومصائر الوطن
بسمادير ذهن ملثا .

صرفات هي قى صميمها تراكب متهايل من
أخطاء فادحة فوق أخطاء ، فتنهتك عن الوطن
أسباب الأمن والسلامة ، مستذلا متعسع
الأوصال ، مستباح الذمار ، نهيا لمن تسول له
نفسه اعتصاب حياء . . .

تصرفات فصلت من روايتها في كلمتي هذه ،
ليس اثاره « لواجع النفس » ، كما قد تقول في
بعض آعائنا العاطفية ، وإنما اهابة الى حذر
فلا تنردى مرة أخرى الى مهاوى حديثة .

صرفات خرقاء - وإن الحرق لشؤم كما جاء
في الحديث الشريف - دفع بها تعلق الأذهان
بسلامات أضفيت عليها حالة من قدسية ، وكاننا
حفائقي مطلقة ، ازلية أبدية ، بنيان شامخ
من واجهات تفكير بيننا العقول خواء !

فإن البشر ، اذا ما ووجهوا بالمعضلات ، انما
يتصدون لمعالجتها في ضوء من دراسات مستفيضة
لأبعاد الموقف ، فيستخلصون منه الأساسيات ،
تحت الحقائق الأولية التي هي الركائز الوطنية
الحقيقية للسديد .

تلك الخطوة في أن يركن المرء الى صورة
حدم ، يصورها صدقا لأبعاد
التي هي ، في صروف معسة ، حيث
« الدنيا لك » ، الأولية في إطار من قوى
محسوسة الشدق ، محددة الاتجاه ، الى معادلة شبه
« فيثاغورية » ، فيتعلق بها من قصرت مداركه أو
تشتت همته الى عديد من نوازع ، وكاننا هي
مسلة مطلقة ، صالحة لكل عصر وأوان ، مبراة
من كل نقد ، تعفيه من عنت أعمال الفكر وإعادة
التقييم .

تلك حقائق أولية ، أي نعم ، لا غنى عن
الارتكاز عليها في أي من عمليات التفكير أو
التخطيط ، ولكنها ليست أبدا جامدة ثابتة ،
وخاصة في تلك الميادين التي تحكمها تصرفات
البشر ، وحتى ان ظلت على ما هي عليه فترة من
زمان فإن العلاقات التي تربط بينها ، تلك القوى
الدنامية التي تشكل أبعاد المواقف واحدا تلو
آخر ، انما في تبدل وتغير مستمرين ، من حيث
مداهم واتجاهاتها على الأقل ، متخرطة أبدا الى
أوضاع متجددة ، بل أحيانا متباينة ، فمن أراد
أن يتفقد ببصيرة الى لبابها ، عليه أن ينفض عن
ذهنه احتمالات الانحياز داخل قوالب جامدة

من تفكير ، فيكد ويجهد في إعادة تقليب الأمور
ويعود الى روايتها المتغيرة وظروفها المتقلبة
وتياراتها المتراوحة ومتاحياها المتناوذة .

كلا ! ليس هدفي إثارة مكان من مواجع ..
والما أن بهيب بكل ذي رأى من مواطنين إلا بدو
مرة أخرى الى اعتناق تلك المعادلات التي بقت
في ديبها من يدعون العلم من رجالات الاعلام ،
بصاعدون بفساحة متملقين الأهواء والآمال
المطلقة ، فنستاق من خلفها وكأنها هي المسلمات
المنزلة - استغفرك أي ربى ! - لا يأتيها باطل
من أي جانب كان !

والا فلي نلومنا الا أنفسنا اذ تلقى مرة أخرى
ساعة المواجهة مع العدو الاسرائيلي ، انها مواجهة
حسية ، آتية لا ريب فيها ، لا مهرب لنا منها
اذا أردنا لأمتنا العيش والازدهار .

كلام اسوقه اذ الحظ ، والعين آسية ، شعارات
حديثة اذ تحاك ، أو قديمة تعاد صياغتها ،
فيسارع القوم من حولها مراحمين ، مشرئين
أعطاسهم ، يدورون سبيلهم ، يمشون
قدسه من مسهب على ...
أمامنا ساحبين ، مسددة سحرهم ...
لا يتحرك لنا لسان من فرط رهبة ...
ولا نظرف لنا عين من فرط ...
حظ ، عينا حجاب حاجب فلا حياء ...
ما قد يكون فونها من آفان ، وبغوص حيث
تلبث بنا الفكر الى أغوار الجمود ، أو ربما حاولنا
أن نطلق ... ولكن الرؤية اذا ما اغبشت
لحرية بأن تعيد باقدا منا عن الجادة الى متاهات
الضباب ، أو تتردى بنا الى مهالك من زلل ملج .

لست ادعى لنفسي القدرة على توضيح معالم
الطريق ، اذ ليس هناك بعد طريق ، ولا يمكن
لشخص أن يتكهن أين يكون ، انما الذي نعلم هو
وضوح الوجهة التي اليها نصبو ، أما الطريق
فرهن بأن يشقى ، خطوة تلو أخرى ، اذا ما
تضافرت جهود المواطنين جميعا ، فكرا وعما ،
متلرعين بارادة لائلين وعزم وتصميم ، الخطوة
الواحدة مهما قصرت هي في حد ذاتها ملحمة من
صراع ، تذليلا للصحاب واقتحاما لدغل من
عوائق ، ملحمة تمازج وتصافر بين عمل جاد
متصل وفكر متفتح يرفض أبدا الانحباس داخل
حدود من مسلمات .

كلا ، ليس هناك بعد طريق ... انما صورة
من هدف علينا أن نسعى اليه ، ولا يعنيها الا
تحقيقه ، فلا قيمة لأين يكون الطريق ، وانما في
كيف أن تشق المسالك ، مهما تشعبت بنا ، نحو
الهدف المشود ، نسبه نسب سباقا من خصم
نصع نسبه معه ، وانما أشبه ما تكون بمباراة في
اللاكمة ، حيث الحركة رهن بتحركات الخصم أو
استباق لها ، الا أنها حلقة تمتد فتشمل ميادين
السياسة والحرب والاقتصاد والدعاية على السطاق
العالمى ، والنصر لذلك الذي لا يهن ولا يعقد
فى أى لحظة توازنه ، لذلك الذي لا تزل قدمه بينا
أبدا متحفز فيختلس الفرص ، لذلك الذي يحدوه
أبدا العزم والتصميم .

كلا ، ليس هناك بعد طريق ... وانما هو
أسلوب حركة ، قادر وحده ، بفضل من اصرار
الأمة وتصافر ابنائها جميعا ، على تذليل الصعاب
والتصدي للتحديات ، فنحنث لانفسنا المسار ،
شيئا شيئا ، الى الهدف المشود وحذار من أن
ساق الى أرض رخوة حيث لا يرتكز ، أو أن
نصل الى شاطئ لا نصلح له ، لذلك
نصنعنا لنفسنا فى صورة من

أ

أرادنا تغفر فاهنا من حديد
... من رومان ... من قدم ... من حلف ، فنحنم
على أن ارفع صوتي بالتحذير ...
سمعت من يقول أن الوقت فى صفنا وليس
فى صف اسرائيل ، وأخشى ما أخشاه أن يتحول
هذا القول الى شعار تم الى مسلمة نستنيم لها ..
فهل هناك أقوى من الزمان حليفا ؟

الوقت ! ولكن ما هو الوقت ؟ اليس حركة
زمان ... شمس تشرق ثم تعود فتغرب ...
أيام تمر واسابيع تمضى فتتسحب من خلفها
الشهور والاعوام ؟ كلا أى انباء وطنى ! ليس
هكذا يكون حساب الوقت فى هذا العصر الذى
نعيش ، انما تحول مفهومه الى كميات انتاج ،
الى عمل يؤدى بمقاييس من دقائق وثوان ، بل
وكسور مرفعة من ثوان فى بعض الأحيان !
أم هل ترانا قد نسينا - مصيبة المصائب
وايم الله ! لو أن تكون قد نسينا - كيف دهمتنا
اسرائيل بصربتها الجسوية القاصمة طائراتها
متناثرة فى عشرات من قواعد ، ولكنها تصعد الى

الجزء من تسلسل زمني دقيق ، تلافى أو يسالى مرورها فوق معالم محدده ، ثم تشعب فتفص على فواعدنا ، رعبا من تباين المسافات اليها ، فتزل بها جميعا صربتها الاولى في توافق زمي عجيب ، كل « طلبة » خاصة لبرنامج توقيتى صارم ، كذا دقيقة وصولا الى الهدف . دقائق اربع او زهاء ذلك ، هي مسحتها للتصف ، ثم تدور آية والا تقطعت اناسها لنعاد الوقود .

وقرة محسوبة من دقائق - هي صبح وصف - لا يتعدونها الا فى حالات من ضرورة قصوى ، هي التي يسمح لها بها على ارض القاعدة ، فيتم التفتيش عليها . ويعاد ترويديها القنابل وتعبير مدافعها بالذخيرة و ملء خزاناتها بالوقود ، ويستبدل بقائدها آخر او أن يسارع اليه شخص مسئول فيبلغى منه تقريرا بما أنجز ، ثم اذا بها مطلقة الى الأجواء مرة أخرى .

صبح وصف من دقائق رقم مدهل ، لا يبسط فيسمع لشتى تلك المجهودات المراحلة ، الا أن يعثر به ، بطول يدرب وسريع ، الطيات البشرية ، فتتساق الحازات ، مواعيد كدنة وكأما توجها آلة الكترونية حاسبة . . . مأخوذون اذ لا تكذ تخلق أجواء . . . العدو ، عادة راحة ، عشر اسرعت . . . آباءين ، ولا يسعنا الا أن نض من حوبه الهجوم لاسرائيل قد دعمت بأسراب أحبية لا حصر لها ولا عد ، والا فكيف بها قد تضاعفت من . . . وكأنها فصائل منه من طائرات سواه تمتع فيها الهول .

نعم ، هكذا بصورنا فى ضوء من حساب ، ولم تكن تدري أن مقاييس الوقت عندهم غير التي نعرف . هل أخبركم بما تستلزمه خدمتنا الأرضية من ساعات - نعم فإن الساعات ، فضفاضة راحة ، هي مكاييلنا الزمنية - فيعاد تجهير طائراتنا لتتحليق مرة أخرى ؟ هلا أن استحللهم باعفاني . . . والا صدمتم هي أعز ما نملك ، فى تلك الحاصية التي لازمت المصرى منذ أن تعرد بأقامة ذلك الصرح السامق من حصاره ، انبهر العالم أمام منجزاتها الرائعة ، وما اعك تأخذ الروعة كلما كشف عن جديد من خباياها كان قد ظل مطمورا ، تلك الحاصية هي كل ما تبقى لنا فتصلب من عودنا ، تلك العنقية ،

مطره الاستعلاء تلك التي يلقي بها المصرى على الغير - تاصلت بيما نحن الى تفكك ، فاصح القبر ليس الاجنبى وحسب ، بل والمواطنى الذين خارج الدائرة التي يتقلب فيها الفرد منا ويعيش - فنسخر منهم ونستحف بل ونزرى بقيسة ما يكون قد حققوا مها علا شسائه ، وخاصة اذا قصرت عنه قدراتنا ، وكان لا جدوى له او ليس اليه من حوجة - قصر ديل يا ازرع ! - ثم « تطرق » بسبياط من لسان حديد ، متكهين مستهزئين ، ذودا عما نعلنا به من كبر وعجب ، فقد سويتنا على أفضل ما يكون ، ومن طينة غير تلك لشي خلق منها البشر أجمعين !

كلا ، أى أبناء وطني ! ليس الوقت حليما الا لمن عرف كيف أن يمسك به فيعشره ، ليس الوقت في صفنا او في صف اسرائيل . وانما هو أداة لمن عرف كيف أن يذلل به بالعمل الجاد مطليه لأعداه ومأويه .

وسمعت أيضا من يقول بأن العرب قد ~~يشرون~~ المعركة ، بل معركة تلو أخرى ، ولكن اسرائيل لا تسمحها أن تحسر معركة واحدة والا

فلا ريب . . . فى صور أخرى متعددة ، . . . من يدس مفهوم ، هناك استنلاذ بخاصة الرضى بحسنة ، يعفى الى بعض اصدائه المصريين بأن كفة العرب راجحة حتما فى ضوء من منطق تاريخ ، « فهلا أن العنتم قلبى بإيمان فى ضوء من منطق سياسة ! »

ثم صورة أخرى ، ربما هي أكثرها شيوعا ، واجها الى قلوبنا ، ثبت اليها بالارقام ، وما أخطر الاعتماد على لغة الأرقام ، اذا ما أعوزتها صرامة العدد - فقد قيل أن الجدول الواحد من أرقام احصائية ربما أن تفاوتت ، بل تناقضت النتائج المسحولة منه ، باختلاف أمجة أو تميمات من انكب على دراسته - سمعت من يقول أن لا خوف من النتيجة البهائية لمعركة المصير ، فانما اسرائيل آخر الأمر ، ومهما بلغت من قوة ، حزيمة معرولة وسط ذاك الحضم من مائة المليون !

ما هكذا يكون الحساب فى هذا العصر الذى نعيش - عصر الآليات والالكترونيات - حيث لا قيمة للسلاح الحديث الا أن يعهد به الى أذهان

مفتحة ، نقتل فيها من روحها متجزات علوم العصر .

يقولون أننا أمة من ثلاثين مليوناً ! والله اننا لا نعدى العشرة ملايين اذا قرزنا المجموع منفصل بين اميين وغير اميين ٠٠٠ وحتى ان قلنا بذلك فاننا نزري بمكايل العصر التكنولوجي ، حيث لا وزن لأولئك الذين توقعوا عند عبثة « فك الخط » .

ما هو تعداد مصر اذن بمقاييس العصر ؟ كم عدد الذين اتوا تعليمهم الثانوي أو الفني . . وما هو رصيدها من خريجي الجامعات ؟ اصحاب « المؤهلات » كما يقولون في مكاتب التجنيد ، وقد افقا أخيراً الى أنه لا قوام لجيش حديث الا أن تعباً كفادتهم .

أما نحن في إسرائيل - « سلاحها السري » كما يتباهى بذلك بعض معلقين السياسيين - ذروة في مجالات الدرس وتحصيل العلم والتثقيف ، حسبما افرد من مفرق

بل ما من يهودي في أي من بقاع الأرض - والعاصمة العنصرية من سبها -

تدريب عسكري على أرض إسرائيل / . . . جنودها كلها أزمعت على حربها الأرواح - قسماً وافراً من تعليم -

أما هنا ٠٠٠ ولتقص بطرنا ، على مسبيل المثال ، على شريحة واحدة ، ولكننا خطيرة كل الخطر ، من الاحتياجات التي يلزمنا بها العصر التكنولوجي ٠٠٠ فكم عدد الوارد السنوي من ذكور ، المهيئين ذهنياً وجسمانياً ٠٠٠ ثم نفسانياً ، فيجتازوا صنوف التدريب القاسي التي تؤهلهم آخر الأمر لقيادة طائراتنا النفاثة ؟ وأقول نفسانياً ٠٠٠ فالملاحظ مع الأسف الشديد عزوف كثير من شبابنا ، أحياناً تحت ضغوط عائدية عنيفة ، عن التقدم للانخراط في سلك القوات الجوية !

بل ان كلمة « نفسانيا » تنسحب الى ما هو أبعد ٠٠ الى تلك « الروجة » ، منافية كل المناعة للطبيعة المتأصلة في كل مصري - فهي نقصة نشاز ، والنشاز حري بأن يثير الريبة - اذ تنجبه أعداد وكرة من متقينا وأصحاب الخبرة الفنية الى الهجرة خارج البلاد .

بل أخطر من هذا ، مناخ فكرى قد حظ ، يبدور

من بيت حيث فيسشئرى ٠٠ سلا حديث للطلبة في جامعاتنا الا عن قرص الهجرة الى هذا البلد أو ذاك اذا ما اتوا دراستهم .

فهلاً أن استقصياً بالدراسة العلمية المأينة الاسباب الدفينة تلك الظاهرة ، نستشف طاقاتها العقلية بينما نحن في أشد الحاجة اليها ! هل نريد دامت أن تختل موازينها في هذا العصر التكنولوجي الذي نعيش ، فتتكسد فيها الاجساد بينما تفر ناجية بنفسها العقول !

كم من مصريين تفردوا بمكانة علمية في ادق تخصصات العصر ، ولكنهم عن العودة الى الوطن عازفون ، بعضهم قد قهر الى هجرة اذ حاولوا افادة الوطن بخبراتهم ، فيلقى بهم الى أركان مطبنة من وطائف لا تمت الى تخصصاتهم باوحي سبب . نفوس بهم الى غياهب من اغفال تحت وطأة حافة من رتابة « روتين » ، حيث الفرد مهما ارتقت كفاءته ، مثله مثل غيره ، سلعة فرضت عليها روحها سميره موحده .

سأع من مصر ٠٠ فهل انتقل بكم الى الظروف السائدة في بقية البلاد التي نقول عنها أنها تزرح

سأع من مصر ٠٠

سأع من مصر ٠٠ سلا حريته الذي يرمي بهده لهم ٠٠ حذار اقا نه يريد لنا

سأع من مصر ٠٠ نشت رؤسنا في الرمال ، فلا يواجه حقائق

سأع من مصر ٠٠ سلا حريته الذي يرمي بهده لهم ٠٠ حذار اقا نه يريد لنا

سأع من مصر ٠٠ نشت رؤسنا في الرمال ، فلا يواجه حقائق

سأع من مصر ٠٠ سلا حريته الذي يرمي بهده لهم ٠٠ حذار اقا نه يريد لنا

سأع من مصر ٠٠ نشت رؤسنا في الرمال ، فلا يواجه حقائق

سأع من مصر ٠٠ سلا حريته الذي يرمي بهده لهم ٠٠ حذار اقا نه يريد لنا

سأع من مصر ٠٠ نشت رؤسنا في الرمال ، فلا يواجه حقائق

سأع من مصر ٠٠ سلا حريته الذي يرمي بهده لهم ٠٠ حذار اقا نه يريد لنا

سأع من مصر ٠٠ نشت رؤسنا في الرمال ، فلا يواجه حقائق

سأع من مصر ٠٠ سلا حريته الذي يرمي بهده لهم ٠٠ حذار اقا نه يريد لنا

سأع من مصر ٠٠ نشت رؤسنا في الرمال ، فلا يواجه حقائق

سأع من مصر ٠٠ سلا حريته الذي يرمي بهده لهم ٠٠ حذار اقا نه يريد لنا

سأع من مصر ٠٠ نشت رؤسنا في الرمال ، فلا يواجه حقائق

سأع من مصر ٠٠ سلا حريته الذي يرمي بهده لهم ٠٠ حذار اقا نه يريد لنا

سأع من مصر ٠٠ نشت رؤسنا في الرمال ، فلا يواجه حقائق

سأع من مصر ٠٠ سلا حريته الذي يرمي بهده لهم ٠٠ حذار اقا نه يريد لنا

سأع من مصر ٠٠ نشت رؤسنا في الرمال ، فلا يواجه حقائق



الفارس الخريب

لشاعر: جمال شحات

الفارس القريب

يسير في طريقه القريب

مريخ الاسواق

رفعه القدر

وانت في الاحقاد

مدبته يحضر في احضانها الله ..

لو برمي في قلبه كواكب المساء

ما عبر الطريق

عناك شيفاه

اعلى من الكنوز

ما يحملان من هوى وآله ود

اغلى من الحياه ..!

يا وطني القديم

دارقة الحزن .. يا مومنه الحذر

يعود في الطريق

فارسي

على يدك حفنة من العذاب

والصعاب .. والضعف

طوقت في المدائن البعيدة

رأيت ما يخافه الشجعان

وتهدت في البحار

وعنت

وملحها في العلب .. واللسان

وها أنا انفض كل جمعتي لديك

ولم تعد اسرار

يشيب عن عينيك ..

لكنني ما كنت في السطار

لاني لم اعرف المهادر

وحين التجار ..

وتهد في رايي العبرة

مفقورة دمعهم

تطام في الأمطار

وفي ردى الظهره

لم يحمها جدار

تود تستريح .. تستريح

من رحلة الضياع في الكفار

ولم تكن ترى سوى جهامة الصبار

يا وطني القديم

اعود بالجراح والندم

فهددي مواجعي

مللت من تجاربي

وبهرة الزحام

ولم أعد - كما نرين - الفارس المقدام

تهلعت مفاخرى

وانكسر الحسام

ورايتي تمزقت اشلاء

واصبحت مفاخرى الدموع .. والبارخ

والطلا!

الأفطل الصغير

بقلم: د. أحمد كمال زكي



وهو يعارض المسيحي ومن لف لعه ، وهو يسلم
لأعنية الجراح والرماح ، طياف الحجاز وخيال
عكاظ والربد جنباً الى جنب مع توهجات صيدون
وبابل ومازب ومنف وطيبة .

— بعد أن نكون شاعرنا — بعد شوقي — في
الرائية من العالم ، حيث درج فادة
وسيدوا ، ثم مايا والأسطورة
في شفاهم في جبين الدهر ورودا
في جبين الدهر ورودا

وفي خيالنا العاء — وهذا طابع عام لشعرنا
أعربى — يحال ديوانه الذي قدم له سعيد عمر ،
فلا تكاد لمسسه حتى نحس أن ما يخلقه من ناير
فيتأ هو الناير ذاته الذي يحفه أي كائن غريب في
الفس ، إلا أنه ناير أشبه بما يستشعره حين
نعزوا الطيبة بما يبدو أنها تستطيع أن تبتدع
كتر مما نصور ، وليس كمن يغزل — حتى وهو
يرنى — من يحقق تلك الألعة الخميعة التي تأسرنا
.. لا بنشأبك أفكار مراصة ومضات صور
مزاحمة ، ولكن بطيبة رشيقة تنبش من حياة
لا تغل على من يحملها إلا بقاء الروح وسماحتها
أين هذا من ذلك الذي يحسب الشعر خطابة
أو يطنه نلويين كلام يفص الى لا شيء ؟

أفكان من الممكن على دواقسة جمال مترف
— كالاحطل الصغير — أن يقف حيث وقف الشعراء
المعدون يلفظون آخر أسنامهم دموعاً فوق جدت
القرن التاسع عشر ؟ أم تراه يحذو حذو مخمرى

في شهر يوليو الماضي نعى أليفا بشارة عبد الله
الحوري ، مير الشعراء بعد شوقي . وقد ظهر
بهذا اللقب في يونيو من عام ١٩٦١ . بعد أن
ظهر — بشكل أو بآخر — أن غزواته في ميادين
الفرى أكبر من أن يسكت عنها الت — نسجم
من أن يقال منها هذا الجيل من أصحاب الفيسر
المرسل .

— ثم ان نرى في تراجم
شوقي اسمه بشعراء — في
من ناع يطمح الى الشعر
— ثم ان نرى في تراجم

حتى وهو يرصف في أغلال التعيد . ولم كان
طريقاً أن يهض شاعر رنط — سعيد عقل — في
حفل تكريمه ليقول : عندما ، في صدفة سعيدة
حطت أنامله لأول مرة بيتاً من قصيد كانت السماء
قد نوت خيراً بالجمال وبأزاهر البال . في الهيمنة
لك ، نقرر أن يكون في لسان أمير كلمة . وكان من
قبل قد حاجمه بعد أن سمع قصيدته المشهورة
« عروة وعراء » ، بقوله أنه لا يقيم وزناً لشاعر
نفسل أقدامه أمواج البحر المتوسط ويكلله جبل
صنن بيتجانه ثم يحمل نفسه الى الصحراء لتوشى
فصائده .

ان الإطار الذي وضع فيه بشارة الحوري صور
شعره قد تحدد بتلك القالة ، ومع ذلك لم يكن
أي دارس بحاجة إليها ليقول ان شاعر لبنان
الكبير مقلد . ففسو يطلق على نفسه « الأخطل
الصغير » مستشرقاً الآفاق التي تعبق بريح البادية

شاعر النيل جز طريقك للخلد
 قد وحدها لمن تريد صداق
 درة صامدة الذي ترك الحس
 ساد بجري ولا يعيق لحاف
 كلما أطبق الفجر عليهم
 حشروا نعتة ومابوا احسانا
 - ٢ -

هل يكفي من طغي الاخطل اصغير ؟
 نستطيع أن نضيق دائرة "العرض" عبارة موحدة
 هي أن ذلك الشاعر ربيب المدرسة الشيعية
 ورثت كل مزايا تراثنا العظيم واستعانت معه
 الاوروبي - الفرنسي منه بحاصة - عرف كيف
 يجعل الهندس الجمالي أساسا للتعبير حتى وهو
 يرثى ، وحتى وهو يعالج قضايا العصر الاجتماعي
 والسياسية .

واذن من الخط أن نجعله شوقيا حصا ، على
 رغم أن ما يقال من بيعته به ونسبته هو
 بذكر يانه معه وفارقيهما في "حرم النيل"
 فان الذي عايش حمسا وثماني سنة محر - وهو
 ارفع الحس والحاد الحكاء - لا بد أن يعرف
 شخصته ورساله وهدفه ، واذن يجب
 جدوى اذا ربحنا توازن بين "عاشق" و "محب"
 من واحد ، فمن يولد "خط" و "خط"
 يجد في عملية الإبداع كشفا عظيما يؤدي إلى
 المزيد من درايته بنفسه وبالعلم من حوله ، بل
 يؤدي إلى المزيد من البعد عن جاذبية قطب عجل
 الزمن بإبطال معموله ، وإما نطاق المشاعر التي
 يلتقي فيها وعندها الصديقان فهي كالتجارب
 الإنسانية سعة وشمولا ، وإنما يبقى الذي يدل
 على حاجة ويصورها على نحو فريد .

وكان من الضروري أن يعارق الاخطل الصغير
 شوقي ، مفصلا عن أنه لا يأخذ مثله من الشعر
 موسيقاه الطامحة - وعنده مرجعها إلى الجزالة
 واللعب بالألفاظ - ولا يحجر مع الاعراض حتى
 وإن كانت لمجرد الإثارة الأخلاقية ، يدرك أن على
 الإنسان أن يسمو إلى غاية أعلى ما تبلغ قدرته ،
 وإلا فلماذا وجدت السماء ؟ ومن ثم لا داعي إلى
 إطالة الوقوف على الأرض ، وليسحب أذياله دائما
 على السحب .

ولامجال هنا للاستعلاء على قيمة ماخلفه شوقي
 فيمن بعده ، فقد أدى دوره إبان الرومانسية .

ولكن الاخطل الصغير خلق أبعادا وجدانية جديدة ،
 وجاوز صور التسويقيين التي لا تزال تدور في
 أذهان الشيوخ هذه الأيام .

عاش الاخطل الصغير حتى شيعي حوته شابا
 لا يرى إلا الجدل ولا يؤمن إلا بالحس ، ومن ثم
 أوغل في ممرات اليأس - بما لحظ سعيد
 عقل - واهدى قبابا مكلوبة بأرهر ٢٠ حتى وهو
 يواجه وجداني موقعا وعتيا ، وفي المواجهة يصطدم
 بل من الحب وانجبال بمررة الحياة وقسوتها
 وعلية المسبب فيطلق قائلا :

أنا في شمهال الحب قلب خافي
 وعلى يمين الحق خير شامد
 غنيت للشرق الجريح وفي يدي
 ما في سماء الشرق من امجد
 مزجت دمعته العتون بدمعي
 ونقشت مثل جراحه بفؤادي

وعنا نرى كيف استنحل الحب في معناه
 حيا إلى احساس قومي ٢٠ إلى عهد يسرى
 جرحه لدى فيه بلد الشاعر موطن لرهز واشبع
 دماءه واسماء اصافية والبيوت الصاحكة
 من الجرح ، مع هذا الحال محر - فان
 ما حدث في "عاشق" و "محب" إلى
 من الأول حتى تبرق معها
 من "عاشق" و "محب" إلى
 من "عاشق" و "محب" إلى

ولكننا لا نرى ثمة ما يدعونا إلى حصر شعر
 الاخطل الصغير في هذا فقط ، فمقد بدأ المهمل
 أو ارفش الأكبر - ولا أقول هوميروس - يبي
 فريضة على أساس من رصد الواقع ، أصبح
 التصوير لانبجده الإنسان العاطفي لب الموضوعات
 الشعرية بوجه عام ، ومن هنا نقيط حق الشعر
 في الجديد الذي قدمه ، وتكفي بأقول أنه لم يزد
 على أن جعل إبداعه سيقا موقفا لحالات سبابة .
 وفي الحقيقة أنه زاد ، وقد حدد سعيد عقل
 في مقدمته لديوانه الذي نشر بعد تنويحه هذه
 الزيادة بقوله أنه كان وهو يحب متفرازا أبدا ،
 حتى لتراه يجعل للنتج - كما للمرأة - معصما ،
 ولليجاد مزا وحيدا ، وللقبر اشفاقا من عطف
 عروا

واذ تعلم أن خير الشعر - على ما يجمع عليه

فيما استجابات كانت هامة أو توشك أن تمت
أو يعنى عليها الزمان .

أجل من المؤكد هذا ليس هو الحياة . ولكن
من المؤكد هذا هو عدم 'شاعر' جديد .
فهو شخص ، ورسوم ، ويعيد تنظيم أشياء
وتنظيم . تغير تصنف ، ولكن بقوة تطرح وتخلي
ثم تنظم وسط ركام غامض معقد يتداخل حتى
يخلصه الشاعر لنفسه ولقنه ولا بداعاته .

- ٣ -

ولكن أما يحق لنا أن نستكشف هذا العالم
بتفقد معالنه ، وليس بواسطة التقويم الباقى ؟
حقيقة سبق أن ذكرنا أنه يعتزل دائما - ألم
نكن مكيا على الحب والجمال ؟ - كذلك ذكرنا أنه
ربما عالجه السياسية والاجتماعية : غير أن هذا لم
ين لنا الا أن نبع الشعر لدى الأخطل الصغير
أن نشيق من خواص يتفرد بها . فالتسليم من
هنا بالحدة أمر مقرر ، ولكن ما المجالات التي أبداع
شعرا على وجه التحديد ؟

التي فاحصة الى ديوانه . شعر الأخطل
الصغير ، الذي يصمم ديوانه الذي صدر سنة
١٩٦٠ . في والشباب . تقرر شيئين
في ديوانه . على ما علم حسن وعدم
نعكس (بالعاطفة) : نداء خلل في عطاء لعظمي يدمج
- بسهولة واضحة واشراق لاف - العالمين في
صور فيها من الجديد مالا يتكرر ، وثانيهما أن هذا
الفن ينحصر في الغزل أساسا ثم بعض القضايا
القومية التي لها جذور في الظلم الاجتماعي وأخيرا
الزنا ، وبعد هذا لا نرى شيئا .

ومن خلال ذلك التقسيم يظهر تماما أن
حساسية الشاعر الجمالية في كل مواقع التحول
في ذروات انفعالاته الى ما يمت الى الحب بسبب ،
فالوجدان الدائى لا بدع للصورة وللأحاسيس
التي تتصل بها أية فجوة . وإذا ما أخذنا أنفسنا
بتتبع الظاهر المباشر نجد كل التفاصيل الواقعية
في وصف الرياض والجمال والأمواج واللحوم
والعصافير وكل أحاسيس البهجة والدهش التي
تتبعها تساق في تناسق ملتئم وحيوية أخاذة .
ولقرا تدليلا على ذلك مطولته « ١٩١٤ »
ولنتبعها بمراثيه في أحمد شوقي وسعد زغلول
وحافظ إبراهيم والزهاوي ، فأننا نراه في غمرة

أعطب البقاد - يجب أن يلعب اغاري . وكأنه يعبر
قد أو على الأقل استذكار لشيء معروف على نحو
جديد ، فان الأخطل هذا يتقدم بآيات كن من غير
شك غير مسبوقات . وعلق حسين مروء في مقال
به نشر بالعدد التاسع من «الأدب» لسنة ١٩٦٨
بعوله ، صحيح أن جبل الأخطل الصغير قد انتهى
منذ أكثر من ربع قرن ، وأن الجبل الذي يعامى
الآن حياة العصر بكل فلفه وعصفها وبكل حدة
الصراع بين متناقضاتها وبكل حيوية هذا الصراع ،
قد أنشأ لنفسه مناحات شعرية جديدة شديدة
التعقد والتوتر والتفجر ، ولكن الأخطل الصغير
دانه بقى في نهاية جبله يقف على تخوم جيلين ،
فلم يعرف هناك في قاع الزمنية الكلاسيكية ،
ولم يعترب هنا كل الاعترا ب عن ارمصاص الحول
والتفجر المعاصرين . وإن لم يدرك ما انكشفت
عنه هذه الارمصاص من جديد ، وما له أن يدركه
بعد أن استنفد العمر طاقاته .

وذلك يعنى ببساطة أنه وإن لم يسبق شعراء
جيلنا فقد سبق معاصريه ، والدليل على هذا أننا
لا نرى وحده الأمر -
الى عالمه الشعري الفريد .

وعلى الرغم من رجا به هذا الذي
الحركة فيه ، فإن الشاعر بدر
يسحب الدليل ويعبر ما يتسام . ولكن دوماً
يفقدنا الطريق بفرابة أو بقوس أو بأحالة ، وأنه
يصبح أكثر وعيا بشاعرنا - من ثسايا الفاظه
التي هي حمى لدى كائن - ولا سيما حين يرى
أنه يريدنا بمدارك تامة الجدة :

يوى ريشه من جناح الملاك
وغصصها بفؤاد الصباح
تائق فيها فلما انتهى
وقد اخذته حميا التجاح
جلاها على موجة من ضياء
فأتمعتا في الهوى واستراح
يرف عليها فرائض الهوى
فهنأ جناح وهنا جناح

ومن المؤكد أن هذا ليس هو الحياة . غير أنه
يوقظ فينا حياة جديدة لانراها غريبة علينا بقدر
ما نراها حبيبة اليها . وكأنه وجد الألفاظ الجديدة
ونظمها في تساق جيد لكي ينشط الى ما تنشط .
نحن له فتمعج ، وإذا هو في آخر الأمر يخصب

اعماله الذاتية يتصاعد مع تهويماته ورؤاه
ورؤيته الى الارحى - وقد يهبط على الارض في
نلك الحال - حتى ليقول بعد أن صال في ملاعب
الحسن وجمال ، وبعد أن هجس بتقرب « الحسن
والاحسان ملتصقين وجها من الأرض هشاشا
لرائحه » :

يا مصر ما افتحت عين على حسن
الا واطلعت ألفا من نظائره
ولا تفتت الأفكار عن ادب
الا وأبنت روضا من بواكره
لبنان يا مصر مصر في مقامه
كما علمت ومصر في مفاخره
هل كان قلبك الا في جوانحه
أو كان دمعك الا في محاجر
أو كان منبت مصر غير منبته
أو كان شاعر مصر غير شاعره
قبارة النيل كم غثيت قافية
في مسمع الدهر مسراها وخاطره
لو عاد فرعون كانت من ذخائره
أو ختم القلند كانت في خناصره
ومن قبيل ذلك أيضا ما يخاطبه إلى
ممسود العرب الذي مر - في -
والنواصي الارب :
شيخ القريض أبا الرعين
الجزل والرح اللعوب
ما زلت المعها على لبنا
ن طافرة الوثوب
من معصم التبع اللدغ
حق لمطف الفصن الرطيب
واخو الوفا لبنان ير
فل منه في التوب القشيب
هو والوراق الحر مه
له هوى وأيكة عند لبيب
فجران من مزن السما

، ووردتان على قصيب
غير أن الامانة تقتضيان أن نذكر أنه وهو بخلد
أيا ممن ذكرنا عابرا فوق الأنهار وخيوط الحلم
وتيجان الروابي وخصل الشعر وليونة المعاصم
وخضرة المعاطف ، يهوى الى خطابية جوفاء تراه
فيها وبها فاقد البصرة ضحل الحساسية ، أو
لنفل لا يترحم معاناته الى صور تخاصم أى تشدق

بياني يتحدلى بجريرة ذبال المعاني ، فيقول مثلا
وكانه على منبر وذلك في مجال رثاء سعد زغلول
مخاطبا المصريين :

انى أخاف عليكم فى تحزبكم
أن تنصروا الخصم وهو الخصم والحكم
تخاصمون على ضعف وخصمكم
هو القوى عليكم ليس يختصم
توحسبوا باسم مصر فى نهجها
وطالعوا ثغر مصر كيف يتسم
انه هنا أقرب الى شوقى ، أو أقرب الى غنائية
شعرنا الكلاسيكى كله ٠٠ ايقاع صاحب ، وبلاغة ،
وتلاعب بالالفاظ ، ثم استشاره بحالة من الطرب
الأبكم الذى لا يجسد معاناة وان يكن يقرر حالة ،
ومجال الشعر التصوير اوعلى ذلك لا نطعم فى
أن نحد مضمونا انسانيا بهجس به جمال فتى
يضمن للشعر البقاء كعمل خالد ، وعلى ذلك أيضا
لا نتحدى حدود بانتفاضات عنصرية - وهى ليست
عنصرات مصرية - تفص الى ضرب من الغلو الاحمق
والرئيس :

وقعب الشئ نفسه اذا واجه موقفا اجتماعيا
شئنا ان نرى هذه الحال لا يتوسل باللفظ
فما يرب - رموز - ولحكة لاسطوره
أجبا ما به وبها بلحيا الى الوعي القاصر والمنطق
الارسطى الذى استغنى عنه التعبير الفنى الجديد ،
فيقول :

ايها الأغنياء ان غناكم
شيدته سواعد الفقراء
القصور التى تقيمون فيها
من بناها لكم سوى الفقراء
والطعام الذى تذلون من هم
صانعه سوى الفقراء
والرياحين فى الجنائن من هم
غارسوها لكم سوى الفقراء

نقير وعطى لا يحفل الا بترهات انفعالية
تعيب فيها امتدادات رؤيته الفنية ، فلا تحاور
ظاهرة الفقر من حيث هى واقف يراه نكل
تفصيلاته أى اسان عادى * ومن ثم نجد أنفسه
فى مواجهة اشفاق مع الشاعر ، لاننا نحس كم
كد وتعيب ليتخلص من طبيعة لا تريد أن تتخلص
منه ! ودعنا من الممارقات ، فانها غير مشحونة

بالتكرير العاطفي المشهود * * القصور من بنائها ،
والطعام من أعدده ، والرياحين من غرسها ؟ أيمكن
أن تكون الأجابة « لا أحد سوى الاعنياء » لئتم
التلقى وتؤدى وظيفة ابن ؟

هذا شيء ، لا تقبله اليوم بمقاييسنا ، ولكن ربما
قبله أبناء حيله ، وفي رأيي أنه هوجم من أحله
وليس من أجل سواء * * لأنه في حديثه عن المرأة
يرتفع الى مستوى من العطاء يخطف النفس خفقا -
فهذا دهش - ثم يطلعهما بانفعالات بصيرة مع
أطباف الصور الحية .

والحق أن الاضطلل الصغير عاش عمرا طويلا
صاهرا نفسه في أتون الأحداث الصغيرية التي
صطرب فيها العرب سياسيا واجتماعيا ، وبحث
حيث أخفق كثيرون * * نجح لا كما نجح
على محمود طه مثلا أو الاسمر ، ولكن نجح كما
ينجح بعض شعراء قصيدة اليوم المرسلة . ربما
الى حد ، وربما الى حد كبير ، غير أن من المؤكد
أنه حلل دون أن يقع كثيرا وأنه استبطن الأعماق
في عمليات تأويل موفقة .

كان يغزل دائما ، ولكنه لم يغزل
لنهرب من مواجهة سقوط العرش ، بل
يسكت عن الحرب العاصفة ، ويحذر
تحدى الاستعمار لنا في فلسطين ، بل
أن يدعو الى الوحدة :

ضحك الجعد لنا لما وأنا
بدم الأبطال مصبوغا لوانا
يا جهادا صفق الجعد له
ليس الفار عليه الأرجوانا
شرف باهت فلسطين به
وبناء للمعالي لا يداني
أن جرحا سال من جبهتها
لثمته يخشوع شفتانا
يا فلسطين التي كدنا لما
كابدته من أسي ننسى أسانا
نحن يا أخت على العهد الذي

قد رضعناه بين المهد كلانا
غير أن ميذانه الحقيقي - وقد ذكرنا ذلك
وبذكره نمره الأخيرة - هو الغزل الذي يحمل
سمة عبائية كن رابعة ورحمة ، يكن منحنه
من طرف وترف ، وهو نفسه يحرس كل الحرص
على أن يلتفت أنظارنا الى الغزل وإلى ما ينبع من

اتصاغت وحدانية شائقة فيقول :

فتن الجمال وثورة الاقداح
صبغت أساطير الهوى بجراح
ولد الهوى والخمر ليلة مولدى
ومسيحملان معى على الواحى
قد عشت بينهما على نغم الصبا
كفراشة علفت ندى افاح

ولقد كانت قصائدته الأولى بمثابة فتح آخر غير
الفسح الذي تم على أيدي عمر بن أبى ربيعة
والعباس بن الاحنف :

عشت فالق لبشعرها يا نسيم
واضحكى في خدودها يا نجوم
وحمل راية العشاق وذكر الواشى والحسود
وفلسف الحب ، ووصف المحب المتيم ، ورصد
نعمات القلب العاشق أرق الخفقات .

يحمل الابتسام في شفثيه
والتسايا تسيل من أدرانه
كسراج في جوف دير قديم
هرقت روحه على جدران
سهو السهول العفنة في
العبر ويقتى أنفاسه بدخان
يشرح من شمس إلى شمس
قلما قلته وظلما

كفاني يا قلب ما أحمل
أفي كل يسوم هوى أول
أبخل منك جديد الهوى
فؤادا من السكر لا يعقل
كفى نهما لن يفر الجمال
وترحل أنت ولا يرحل
سكتنا فما غرد العندليب
وتينا فما صفق الجدول

كان الشاعر يرثى لسكوته وبخاف إلا بحب
وبفرد ، والآن سكت ذلك الصوت الشجي
البحر * * فاية خسارة للشعر العمودي وللشعراء
لشيوع ؟ ومن بعده يستطيع أن يدعى أنه يقف
في جمة على أعمام رقمها قديمة * وهل ترى باني
أى مدح فيزعم أنه لم يقدم الكثير الذي تسيطر
عليها الأنغام العذبة والذي يعطى فيجزل العطاء ؟
أظن لا * * *

شاعر خمارويه

بقلم: د. حسين نصار

أعنى « القصائد » أصعها ، هام الدارسين مفرونة بتفسيرى لها ولما كنا نعرفه من شعره ادى درسه سابقون على . .

هذا الشاعر منتحنا كتاب المغرب فى حلل المصرب (٢) أتم صور سمه ، فكانت القاسم ابن يحيى بن معاوية المربى . ولا يختلف الاسم فى نية الكتب التى ذكرته .

وضبط لقب الرجل فى أكثر الكتب التى ذكرته بفتح الميم وسكون الراء ، غير زهر (٣) . فقد صبطه السيد على محمد محذور مدحه بكسر الراء . وقد اودت التحقق لالام نلسب الرجل ، فلم اجد الاسم فى الألفب والألفب من الألفب . واسمولى بعرض له . ومضى أمامى غراالضخمين . وعندما حاولت ذلك وصلت الى أن ارجح فى الضبط هو كسر الراء والى احتمالين فى تفسير اللقب :

١ - أن يكون منسوباً الى مربة (٤) ، وهى من قرى حضرموت . وتروح هذا الاحتمال كثرة اليمينين والمضاربة الذين نزلوا مصر مع الفتخ الاسلامى وبمعه . وبروز رجالهم فى الحياة المصرية فى تلك العهود .

٢ - أن يكون منسوباً الى مريمين (٥) ، من قرى حمص أو حلب ، كما ينسب الى نصيبين ومقال نصيبى (٦) .

ولم أجد نصاً يقطع بكون الرجل مصرياً منذ

(٢) ١ ٢٧١ من القسم الخامس مصر

(٣) ١ : ٤٥٤

(٤) العاموس المحدث وتاج امروس (البيروت انادى)،

(٥) محم اللدار لاموت الحميرى ٤ : ١٦٦ بيبسك

(٦) نفس المرجع ٤ : ٧٨٧

قال العاصى أبو عمر وعثمان النابلسى فى كتاب: « حسن السيرة فى اتحاذا الحصن بالجزيرة » (١) : « رأيت كتاباً قدر انتفى عشرة كراسة مصمونه فهرست شعراء الميدان الذى لاحد بن طولون » . فإذا كان هذا القول قد أثرت فيه عوامل الاعراء وشابته أسباب الهوى المبالغة ، فإنه - بالرغم من ذلك - لا يفقد دلالة على كثرة الشعراء الذين عرفوا بنظم الشعر فى العصر الطولوسى .

ولكننا حين نتبع من هؤلاء الشعراء لا نصل الى أسماء غير مجموعة قليلة منهم لا تملأ كراسة واحدة ، بل ربما تملأ أكثر من صفحة واحدة .

فإذا أردنا أن نتمقى قليلاً ، ونعرف على ما وراء هذه الأسماء ، تساقط الراء من الألفب الآخر ، ولم يمثل أمامنا غير عدد ضئيل . ربما لم يزد على أصابع اليدين ٢

وما نصل اليه من أخبار هذا العدد الضئيل ، وأشعاره تماثله ضالة ، بحيث يتعذر علينا أن نحسن تصورهم أى تصور .

وذلك هو سبب جد الباحثين فى الأدب المصرى فى التنقيب ، واحتفالهم فى البحث ، وفرحتهم الغامرة بالنص يعثرون عليه مها كان قصيراً أو ميتوا أو مشوها . فشانه شأن النقوش الفرعونية لا تبجل عن السقيب عنها بجد ولا مال ، وبسجها الترحيب حين نعثر على شىء مها مها كان ، لأنه سيعطى الصورة القديمة شيئاً من النماء والتنام . هذا التصور هو الذى يدفعنى الى الكتابة عن هذا الشاعر ، الذى أريد أن أكتب عنه . فلن أعطى صورة تامة ولا واضحة له ، ولن أحاول ذلك ، فليست قادراً عليه بما بين يدى من مواد . وإنما أكتب لتعورى على بعض النقوش

مولده الى وفاته . ويبدو أن البحث عن مثل هذا الامر لا طائل من ورائه . فلم يكن أهل ذلك العصر يفرقون بين الأقطار العربية خاصة والإسلامية عامة . بل كانوا يطلقون لقب المصري وعبره من القاب البلدان على من أقام بمصر مدة وعرف فيها ، أين كان مولده ومنشؤه . ولذلك لا استطيع ادعاء مصريته الشاملة اعتمادا على وصف كتاب المغرب (٧) اياه به « الشاعر المرمي المصري » أو « من شعراء مصر المشهورين » . وقد عثرت في بعض شعر الرجل على أقوال تميل إلى القول بأنه شامي الأصل . فقد خرج حمارويه في سنة ٢٧٣ من مصر إلى الشام والجزيرة لمحاربة بعض خصومه ، فقال المرمي يشيد بانتصاره عليهم (٨) :

أنا أبو الجيش الأمير بيمينه
فشرد عنا الجور ، واقتصر مصر
فإن تلك أرض الرقتين به اكتست
ضياء واشراقا ، لقد أظلمت مصر
فقوله : « أنا » يدل على أنه لم يخلو مع حمارويه من مصر ، وأنه كان من أهل مصر .
حدث عن في شعر آخر : « أنا » يحجب
حول مقامه بمصر ، وسألت في كتاب :
قال (٩) :

«مولون في : ما بال رحلك دائما
بمصر ، وأني لست عن غيرها أرضي ؟
وكيف رحيل عن بلاد عدا بها
أبو الجيش والنيل الذي ملا الأرضا ؟
فهذا التساؤل من الناس إما أنه يدل على أن الرجل غريب عن مصر ، فحببوا منه إذا طال المقام فيها أو أنه وصل من الفن الشعري إلى مرتبة عالية جعله حديرا أن ينتقل من مصر إلى عاصمة الخلافة العربية بغداد ، فكان مقامه في مصر مثيرا للحب .
أما أنا فتميل إلى هذه الملاحظات القليلة إلى أن الشاعر من مرمين الشامية ، وأنه اتصل بحمارويه عند ذهابه إلى الشام كما اتصل به شاعر مشهور آخر ، بل ربما أشهر شعراء العربية في عصره أعني

(٧) معجم البلدان لياقوت الحموي ١ : ١٣٦ ، ٢١١
(٨) ولاد مصر لشكري ساد ونيوت ، ١٦٥٩ ، ٣٦٠
(٩) « يوسف الإدلسي القرب في حلى القرب » .
القاهرة ١٩٥٣ ، ١ : ١٣٦

المحتري ، ثم انتقل مع حمارويه إلى مصر ، وبقي فيها ، وصار شاعرها الرسمي ، فوصف بالشاعر المصري ، مع احتفاظه بلقبه المرمي .
ونستبين من النصوص التي رواها الكسدي أن المرمي التزم بحمارويه في الشام ، وتبسط خطاه ، وأعداه القصائد التي تغني بانتصاراته .
الصف ما كان ديه وبين اسحاق بن كنداج في سنة ٢٧٢ هـ ، وبدأ بتصوير عظمة جيش حمارويه (١٠) :

سائل به اسحاق ، إذ سار نحوه
بجيش كمرض النيل يقدمه النصر
تباعدت الأقطار منه كثافة
ففي مشرق قطر وفي مغرب قطر
وصور ما اعتري ابن كنداج من حيرة ، وتملكه من فرح ، وثيقته من الهزيمة ، مما أرغمه على الفرار محافظة على النفس بعد أن تفوض جمعه ، إلى فرجه :

من اد قيل : الأمير ببالس
وأضحى صيف العقد إذ عقد الجسر (١١)
روى في الجبل ، السداح مفصلا
روى في الجبل ، السداح مفصلا
فوقه ، في الجبل ، السداح مفصلا
نكل بلاد طائر صاله وكسر
لئن سر اسحاق النجاة بنفسه
لقد ساءه في جمعه القتل والأسر
فلا نبطن بالعيش من بعد هذه
فقد كسرت كسرة ما لها جبر

ولعل أحسن ما قال المرمي من شعر كان في معارك حمارويه بالشام . فقد التفت حول الأمير جماعة من الشعراء تشفون بشجاعته ، وما أبداه من ضرب الحثكة ، وما لقيه من صنوف النصر .
« كان منهم الشعراء الكبار ، من أمثال المحتري الذي قال في مدح حمارويه (١٢) » .

« قد رأيت حموش النصر منزلة
على حيوش أي الجيش بن طولونا

(١٠) ولاية مصر ٢٦٠

(١١) مالى بلد ، حلب والرتة

(١٢) ولاية مصر ٢٦٢

ولم أرض مدحى وحده لك تحفة
وان كان وشيا لا يدنس باللبس
بعثت بأخت البدر والشمس، والتي
رأيت لها فضلا على البدر والشمس
باحسن امرأة لأحسن طلعة
غلت طينة للمجد في صورة الانس
مكتشفة ستر العمى عن دوى العمى
ومنطقة في وصفها السن الحرس
بحيرة نورا موجها متداعج
وليس لها غير التالف من حس
لها نور افترد وزوئق جومر
يكره ادنى التنفس واللمس
صعقت، واستوت بالماء والنار واكتسعت
من الذي ثوبا وهي كائمة اليبس
انتك محلاة تزف كأنها
عروس توافي بعلمها ليلة العرس
ولم اهداها الا ونفسي تحبها
ولكن نفسي آثرتك
وعثرت على نصيب للمريسي من الاحواب
اي الشعر الذي يتبادل الاصدقاء فيما يكون بينهم
من أمور . وكان المريسي في ذلك حين
شيء ما ، فاختار صديقا له
فيها عن حاجته ، ويلتمس منه
كتب الى صديق كان يشرب معه النبيذ ثم اقلع
عنه : (١٧) :
ان كنت تبت عن الصبها تشربها
نسكا ، فما تبت عن بر واحسان
ب راشدا ، وامبقنا منها ، وان عدلوا
فيما فعلت ، فقل : ما تاب اخواني
ويكشف الرجل في هذين البيتين عن روح
عده ، بعدها في الأبيات السابقة - ولكنها
نحلي ثانية في قصيدته التي استهدى فيها نكة من
ابن عبد كان ، وبدأها بقوله (١٨) :
يا سيدي ومؤمل
ان خفت من عنت الليالي
اشكو اليك مصيبتى
في نكة كانت جمالي

(١٧) دهر لادب بحسرى ١ : ٥٤ القاهرة ١٩٥٣
(١٨) الحب والهدايا ٨٢

لعب اليلى بجديدها
فكانها دمن بسوال
ولديك منها عدة
نخب من التلك القوال
ويمكن أن تقرأ بهذين النصين الأبيات التي
استهدى فيها من خماريه خيمة (١٩) ، ويبدو
أنها تدل على تطور العلاقة بين الرجلين وبلوغها
مبلغ الصداقة أو ما يقاربها .
وعندما نعلم النظر في جميع النصوص التي
محدث فيها المريسي عن الهدايا : طلبا وعطفا ،
بجدها تسير على نمط واحد ، اذ يعتمد فيها على
أمرين : المدح والوصف . أما المدح فيوجهه
للهدى ، وأما الوصف فخاص بالهدية ، يحاول
أن يعطى صورة شاملة جذابة لها . ولكن هذه
الصورة لا تقتصر على المريسي وحده ، بل تكاد
تعم شعر الهدايا كله ، كما يبين من كتاب التحف
والهدايا .

ولكن مؤلفي الكتاب المذكور فطنا الى ظاهرة
جدي اشتراك فيها المريسي مع جماعة من الشعراء
والشعراء الآخرين . فقد عمد هذا الشاعر
الى أن يمدح الهدى ، أمام اعتذار من يطلب منه
هدية ،
فمنها ، وأطلب الى وصف صنف صنف منها .
فبعضه في ذلك بعض الشعراء الذين كان المريسي
واحدا منهم .

قال الخالديان (٢٠) : استهدى البحتري من
أبي جعفر محمد بن عبد الحميد فرسا وبغلا
فقال :

فأعن على غزو العدو بسنطو
أحشاؤه طي الكتاب المدرج
أما بأشقر ساطع أغشى الوقى
منه يمثل الكوكب المتأرجع
متسربل شية طلعت أعطافه
يدم فما تلقاه غير مضرع
أو أدهم صافى السواد كانه
تحت الكمي مظهر بيرندج

(١٩) التحف والهدايا ٢٩٤ ، والمرب ٢٧١
(٢٠) التحف والهدايا ٧٨ - ٨٢

صرم يهيج السوط من شؤوبه
 هيج الجنائب من حريق العروج
 أو أشهب يقق يضيء وراه
 متن كمن اللجة المترجرج
 نخعي الجبول ولو بلغن لبانه
 في أبيض متألق كالمليج
 أو أبلق يلقي العيون اذا بدا
 من كل لون معجب بنموذج
 جذلان تحسده الجياد اذا مشى
 عنقا بأحسن حلة لم تنسج (٢١)

فالبحتري راض بالأشقر أو الأدهم أو الأشهب
 أو الأبلق ، واصف لها بأحسن الصفات . وقد
 هذا الصنوبري جذو البحتري في هذه المعاني
 فقال يستهدي نعل :

متى تتدارك نعلي ألا
 فقد ذهبت أو بدت تذهب
 بسوداء ذات بريق تراه
 كالآل من فوهها يلعب
 والا فصفراء كالشمس حين
 من يجللها توبها المذهب
 والا صفراء من وشح
 بعض كما تنح السحر
 والا فذكاء عروسه
 تشاكلها من الذهب
 والا فحمراء لون الشهب
 في أن كان هذا فذا أغرب
 والا فصفياء ما أن يزا
 ل ينافسها السوسن الأصهب
 ولو كنت أعرف خضراء قل
 ت كالماء دبحه الطحلب
 وعلى البحتري ومعاويه عول المريسي في
 استعدائه التكة من ابن عبد كان :
 فابست باحداهسن لي
 حمراء مثل دم الفزال
 أو جد بها صفراء مش
 ل الشمس في وقت الزوال

(٢١) اليرنج : السواد به القف ، وشؤوب شدة
 الصدو ، العروج : نبات طيب الرائحة : اللبان : الصدر ،
 القملج : السوار ، الصق قرب من السور سريع قبيح .

أولا فيبصاه القبي
 من كانها رقرق آل
 ومتى بعثت بها مور
 دة لعبدك لا يبالي
 واخضر لون أشته
 وأرتضيه بكل حال
 ولئن أتت خصرية
 فقد اعتقدت بها وصالي
 أو فلتكن زرقاء تنف
 به زرقاء الماء الرلال
 وتجنب السوداء فهد
 و تعد في السقط الرذال
 والعيش في منقوشة
 كالكف ويات الحجال
 مهابا وخذ حظي بها
 ألا تحلل على حلال

والحالديان محققان فيما تنبها اليه ، غير أني أحب
 أن أعبر في عبارتهما بعض الشيء فاستمعي عن
 قولها « معاويه » بـ « نهجه » فالمرمي لم يعول
 في معنى من معاني البحتري ، ولم يلتق به
 في أية لغة ، بل أعنيها . وأما الأصلاء به
 « شعراء الألاء » من الإخاء المدهى ، وأما
 « بعض من » فهو « وسين من الغصان »
 « من سحر من أعظمهم الحاجة على بوصف »
 وسما له . فلم يعبر على أعطه كن صنف سما
 واحدا بل أعطى الأبيات ، على حين لم يفعل ذلك
 محتذياه ، فيما يبدو . وتبين أيضا أن البحتري
 أجزلهم ، بينما يتمتع الآخرون بقدر أكثر من خفة
 الظل .

وإذا أمكن لنا أن نعتذر عن الشاعر في اتباعه
 بهجا واحدا في الشعر الاخواني فما أظنني قادرا
 أن أقول ذلك في شعره الحربي . فالناظر في
 قصيدتيه اللتين أشاد بهما بانتصارات خمارويه
 يلاحظ الظاهرة نفسها تتكرر فيها . ولا شك أن
 ذلك يدل على ضيق باع الرجز ، مهما تماثلت
 الأحداث في الحروب .

ونلمح في بعض شعر المريسي آثارا لثقافة كان
 الرجل على معرفة بها ، وأعني بذلك : الثقافة
 العربية المتصلة بالتراث الشعري . فالصلة

قريبة بين الشطر الأول من قوله :

وان هم بالسير لم يتنص

سمنح يعن له أو يريح

والشطر الأول من قول كثير (٢٢) :

اذا ما أراد الغزو لم تنن عزمه

حصان عليها نظم در يزينها

والشطر الثاني وليد ما كان شائما بين العرب

القدماء من التطير والتفاؤل بالطير .

ولمخ في شعره آثارا للصنعة الشعرية التي

شاعت بين شعراء عصره . فقد اعتمد على لون

ساذج من الجناس - ولكنه غلب - في بيته الذي

وصف فيه أرقه وعدابه (٢٣) :

سهاد - حين يسرى الطيف - يسرى

ودمع - حين يجري الذكر - يجري

واشتق من اسم البلدة التي وقعت فيها الحركة

بين خمارويه وابن كنداج معلا يتجانس معه ،

كما فعل في عقد الجسر أيضا ، فقال :

بابس اذ قيل : الأمير يبالس

وأضحى صميغ المفرد اذ عقد الجسر

ولكنه - يبدو - كان أكثر ولوعا بالتيق

والمقابلة . نلاحظ ذلك في البيت السابق ،

سرى والمرب من انصبي - سرى -

الشطرين الأول والثاني من قوله :                

لئن سر اسحاق النجاة ففسه

لعد ساء في جمعه القتل والأسر

وقوله :

لئن كان ولي سليما صحيحا

فما القلب منه سليم صحيح

وفي قوله : « يحوط حصى ، وحصى يستبيح »

وفي كثير من الفاظ صميغته .

وليس هذا بالأمر الغريب ، فقد كان شعراء

اقرن الرابع يحبون هذه الزخرفة ، منذ أولع بها

أبو تمام . وكان المريسي يرى في شعره « وشما

حدرا بالا يتنل » ، قال :

ولم أرض مدحى وحله لك تحفة

وان كان وشما لا يدنس بالليس

ويبدو أن المريسي وصل إلى مرتبة غير محبسة

في الفن الشعري ، والصنعة ، مما جعل الناس

يحافظون على قصائده ويسجلونها ، وكتساب

اغرب يصغه بالشهرة كلما تعرض له ، قال عنه

(٢٤) : « من شعراء مصر المشهورين الذين دونت

أشعارهم » .

وقد أعجب الثعالبى ببيت له في وصف

الرسائل البليغة ، قال (٢٥) : « أحسن ما سمعته

في ذلك قول المريسي هذا :

يطوى ، وليس يطوى ، محاسنه

فاحسن ينشره والكبر يطويه »

وان كان فصل عليه بيتين لشاعر آخر غير ذي

شهرة قال : « وأحسن منه قول ابن مندريه

لأصفهاني

يكرر طورا من قراءه فصوله

فان نحن آتينا قراءته عدنا

اذا ما نشرناه فكالمسك نشره

ونطويه ، لا طي السامة بل ضنا

وحتام القول في القاسم بن يحيى المريسي أنه

الشاعر المصري ، الذي أكثر خمارويه الاحسان

به ، فاحتض به ، وأشاد بانتصاراته ، وشارك في

حياته الجمع شري . وبارى الشعراء اديين

صنوا بأميره ، مما سميت مرتبتهم . واطلع على

أشعاره ، « حبيب ، فاحدى آخر ما اهنكره

الشعر من مبادئ شعرية ، واغترف من التراث

عربي ، وورق بالبطبيعة المصرية ، وصور بعض

مشاهدنا وسنننا كما فعل مع النيل . وحال

نفسه ، فطالت قصائده ، حتى في بعض القصائد

التي لا تستحق الإطالة عادة .

فلا جرم أن يكون أهلا بلقب « شاعر خمارويه »

ولكن شاعر خمارويه عاش طويلا بعد أميره ،

فيما يبدو . فقد كتب بعض المعلقين في حواشي

مخطوط ولاية مصر أن السبكي - المؤرخ المصري -

ذكر أن المريسي توفي في سنة ٣١٦ هـ . وكان

مقتل خمارويه في سنة ٢٨٢ هـ . فإذا فصل

الشاعر أو قال طوال هذه المدة ؟ .

انه سؤال سيبقي بقاء السؤال : ماذا كان

الشاعر يفعل قبل الاتصال بخمارويه ؟ . الى أن

نقف لنا بطون الكتب بمعلومات جديدة تضيفها

ان ما عدنا . وترجع بعض ما يعطى جوانب حياته

من طلام . ونصعد به الى ما تمتع به في حياته من

الضياء والروز والشهرة .



شهرية
الفنون
التشكيلية

يقدمها: بدرالدين أبوغازي

عندما تحرك الجبل

كنت مصر عند جلالها في ذلك اليوم الذي تلاقي فيه على ربوة مبعدي « أبو سمبل » ممثلو الهيئات الدولية والمنظمات الثقافية وحكومات عديدة من دول العالم ليشهدوا معجزة من معجزات الحضارة الإنسانية القديمة تضافرت على الإنسان الحداثي وعلمه

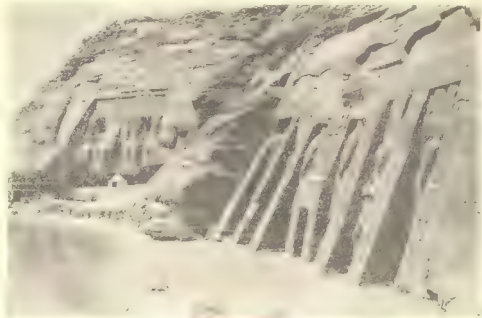
في لحظة رائعة في تاريخ مصر كانت جذيرة بكر. مسمبل. أعاد لها على روايته وفخامته ... لحظة تمثل بها جرد الإنسان من محيطه ونظراته الإقليمية وارتفاعه إلى العالمية ... إلى المسمى الإنساني الكبير ليصون انرا وان تنسب إلى مصر إلا انه يمثل قطعة عزيزة من التراث الإنساني ... هذا هو معنى شمول الرؤية ونضائر الفكر والارادة وانتصار الإنسان بالعلم والقدرة على ما يهدد صروحه ومشيدهاته العقيمة .

ولقد تحلى معنى هذا الانتصار أشد روعة لمن عاصر الأيام الطويلة التي كان أمل انقضاء « أبو سمبل » يبدو فيها خافتا متردد الحطى .

ففي سنة ١٩٥٤ حين تبلورت فكرة إقامة السد العالي كن غرق مبعدي « أبو سمبل » وأثار النوبة يتحسم كواقع حزين .. وكنت نتساءل فيما تكتب حينئذ ألقى المعبود الصخري العظيم مصير قصر أنس الوجود وهل من سبيل



كنلة من المعبد الصغير



العبدان قبل قبل ان يبدأ العمل

في سنة ١٩٥٥ م لجده السبيل للإبقاء على
العلم وقدراته .. ولكن هذه الندوات ذهبت
كرجع الصدى .

وكما نادى بأن شعارنا يجب أن نحول
من أعاد ما يمكن انقاذه الى أعاد ما لا يمكن
انقاذه حتى نصل الى أقصى ما تستطيعه ارادة
العلم وقدراته .. ولكن هذه الندوات ذهبت
كرجع الصدى .

ومضت الأيام الى ان ولي الدكتور ثروت
عكاشه امر وراة الثقافة فاعتنق الفكرة
بحماسة الفياضة وإيمانه الدافق الذي غرس
بسه في أرض مصر أروع الفنون خلال هذه
السنين .

ومفانيه التي لا تؤمن الا بالجيل من
الاعمال وباحساسه باحتياجات هذا المشروع
الخطير نقل حماسه الى اليونسكو بنداثة
التاريخي الذي حرك المنظمة العالمية ، كما انه
حمل الى السيد الرئيس فكرته ومشروعه
فأحاطه برعاية وتأييد تمثل في رسالته التي
وجهها بمناسبة النداء الدولي لهيئة اليونسكو

٧ عدد حد عمده احد رة
الماء بعض معالم وجه مصر .

وفتح الدكتور سيد
الاجتهاد الهندسي بما تقدم به من مقترحات لانقاذ
الأثر العظيم الذي جعل شامليون عند رؤياه
يقول « استأقزام أمام هؤلاء العمالقة » .

وفي سنة ١٩٥٥ ذهبت بعثة من مصلحة
الآثار الى بلاد النوبة للنظر في انقاذ ما يمكن
انقاذه من الآثار الخالدة في هذه البلاد قبل تنفيذ
مشروع السد العالي .

وعاد رئيس البعثة فاعرب عن أمانى رجال
الفن والآثار في انقاذ معبد أبو سمبل ومعبد
فيبة ولكنه ذكر أن الوقت لا يسمح بالتردد اذا
اقتضى الأمر التضحية ببعض هذه الآثار .

وارتفعت صيحتنا في هذه الأيام تشير الى
ضرورة انقاذ معبد أبو سمبل فهو مثل الكولريوم
لروما والاكروبول لليونان وهي جميعا تراث
مشترك للحضارة الانسانية ، وما بالعصر على

حين قال « يوم يكتب لهذا المشروع النجاح سيكون لكم ولكل جهد بذل » ولكل عقل فكر . سيكون لكل حكومة أو هيئة عامة أو خاصة أو مؤسسة أو شخص فضل في العمل على تأييد الثقة في امكان تعاون انساني مشور بين امم الارض جميعا » .

وبدأت الحملة الدولية لانقاذ تراث النوبة وبدأ معها الفكر الهندسي يقدم وسائله وأدواته الى ان استقر الرأي على الاخذ بمشروع نقل المعبدين الى قمة الجبل الذي نحتا فيه بعد تقطيعهما أجزاء تجاوزت الألف قطعة ، واستخدم العلم أقصى إمكانياته لحماية المعبدين عند تقطيع صخور الجبل الذي يعلوهما .. غطيت واجهة كل معبد بالرمال واقيم نفق اتصال من الألمنيوم يؤدي من الخارج الى داخل كل معبد .

ومعاون العلم الهندسي مع العلم الأثري على الاحتفاظ لكل قطعة بمعالها وترقيمها حتى يسهل اعادتها الى موقعها الطبيعي من البناء . وتحرك جبل أبوسمبل من موقعه الطبيعي الى مكانه الجديد وأعيد بناء الجبل فوق المعبد ليتخذ شكلا قريبا مما كانا عليه .

واقيم فوق كل معبد قبة حرساتية كبيرة تحمل تلال الركام الصخري وهي أول قبة في العالم تحمل فوقها هذه الأطنان الضخمة من الصخور ... أن وظيفة القباب في العمارة أن تكون دروة البناء ولكنها في معبد رمسيس سياج يحيطه وتخفيه الصخور ، هي معجزة من معجزات الهندسة الحديثة أضافت الى معجزة نحت هذا المعبد في صميم الجبل صورة من قدرة الانسان الحديث وعمره .

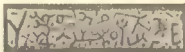
لقد كان فن الرعامسة من فنون المرحلة الأولى من تاريخ مصر القديم ... ورمسيس الثاني هذا الملك المجيب الذي استطاع حكمه الى سنة ٦٧ ق كان حاكما طموحا مارس الحروب وارتفعت نطمعته الى أن أعلن نفسه إلها ومجدد للدين . في اسمه اسم ادم لها هذا المعبد الكلاسيكي تحت ربه المشرق وآمون اله طيبة ويتأخر قلب العلم والمعرفة . وحشد هذا المعبد بالنعوش التي تمثل معاركه وحروبه .

أما المعبد الصغير معبد زوجته نفرتاري ، فأكثر رقة وإيعاء بالسلام تطله الآلهة حتحور ربة الخصب والسماء يعلو هامتها تاج قرص الشمس .

إن مقبرة فن رمسيس تتمثل في الضخامة الشاهقة .. في النحت العملاق الذي نشره على أرض الوادي من البوابة حتى البدرشين .. حيثما ذهبت ترى آثاره أقيمت لتفرض وجودها . هو فن عظيم مميز من هذه الناحية ..



الكتابه السومرية



من وحي الحروف العربية - بول كل



لوحة اسلامية من القرن ١٩

لوحة التلقين مبرو

227. E
 1-1-11
 11-1-11
 11-1-11
 11-1-11
 11-1-11

قد لا تكون لغوشه روعة النحت المصري العائر في الدولة القديمة ولا سحر معبد سيتي في العراة المدفونة ولكن قوته في النحت الكبير وعبقريته في تولفه في هذا الجبل ونحت آثاره فيه بعد ان نقل عبر ثلثمائة من الأميال أحجار تماثله الجرائنتى الذى أقامه في تانيس وتمثاله الحجري في ميت رهينة حيث يبدو الإنسان يسبح أمام راحه يده و

لقد سجن عسكراً عند
أجل العبد من موافقة
ولكن من سبى لاه
ان هذه المنطقة القاصية في حاجة اليه فكر
لها اذهارها السباحي والمني

معرضي فن الكتابه :

نظم اليونيسكو بالاشتراك مع وزارة الثقافة
(الادارة العامة للفنون الجميلة) معرضا من اهم
معارض الموسم الفنى هو معرض من الكتابة الذى
أقيم بقاعة الفنون الجميلة بباب اللوق خلال شهر

والحقيقة التي تطالع زائر هذا المعرض كما قال الأستاذ أتيمل في مقدمة الكتاب الو الذي أعدله هو أن الكتابة أساس تركز عليه الحضارات كما انها الضمان لاستمرار بقائها وان الحضارات أثناء اختراع الكتابة وبلورتها أجهدت في أن تجعل منها فنا وحقق ذلك نجاح .

وهذه هي الحقيقة التي تطالع رثر
المعرض من خلال خمسين لوحة جمعت مئات

ما أجدر هذا الحدث بأن توجه له عبقريه
المن والموسيقى لابتداء وبرار على عابذة
لغردى تمد وتؤدي ولو أحيانا في هذا المكان على
ربوة المعبد وتسجل الاحداث العميقة القريبة
في حياة ذلك العصر والمكان .

عمل قد يستغرق جهدا ووقتا ولكنه حين
يقام يسجل مجدا فنيا آخر .. وحيثما أدت
هذه الأورا فإنها ستجذب الانتظار الى هذه البقعة
البعيدة عند البحيرة القائمة خلف السد تحيطها
سخور النوبة .

كذلك فإن المنظمة في حاجة الى دراسة
امكانياتها الاقتصادية لتجبا على استنحار
وتنتعش . . لم لا يهجر اليها بعض اهالي النوبة
الذين افوها وعاشوا قبالتها وابدعوا اروع
فنونهم .

ولم لا يبدأ التفكير في إقامة متحف للنوبة

الصور التي نسقت بذلك استهدف تأكيد حقيقة أن الكتابة عمل فني تمتزج فيه المتعة بالفائدة .

يستعرض المعرض الكتابة منذ عرفت أداة للتعبير ويكشف عن التجانس بين مختلف حروفها وبين الجمال ويلقى شعاعاً على أرباطها بالن في أشكاله المختلفة بالتصوير في لصين حين كان الخطاط أربع منزلة من المصور ، وبالعمارة في الفن الإسلامي حيث الكتابة مكمل وعنصر شكلي أصيل نماذجها في سومر وبرموها النابضة بالحياة في مصر القديمة . ويدل المعرض على تأثيرات انعكست وتدولت عبر البلاد والعصور .. كآثر الخط الكوفي التعبيري في تجريداته المختلفة على الفن الحديث كما يبدو في م. مودرن .. وآثر الكتابة العربية في أعمال بوركلي .

ويتناول المعرض حرفية الطباعة وما قد تؤدي إليه من تأثير على القيم الجمالية في الكلمات المطبوعة .. وهي إحدى المشكلات التي عرّض لها مؤتمر الخط العربي الذي عقد بالعمارة في يوليو ١٩٦٨ وأقرت المجلة لاحتاجه قسماً خاصاً .

ويدل المعرض على أن كل الكتابة E.T.A. الكتابة السحرية إلى أوراني العبد ١٠٠٧ م الحروف الدينية إلى الاعلانات المصنوعة يمكن من يقدم صياغات جميلة . فمن خلال مسيحية عبر ستة آلاف من السنين يدلنا المعرض على الكتابة كانت مصدراً لأنماط من الجمال على .

ويكشف تحريض الحروف من خلال

الواح المعرض ككائنات حية لها فرديتها ولها ذاتيتها عما فيها من إمكانيات الرمز ومن إبداع جعل من الخطوط فاعلياً ومجالاً لادّعاء لوحات فيه .

كما أن أثر الكتابة على الفن وبخاصة الفنون الحديثة يبدو في نماذج من لوحات التكعيبيين حين استخدم جورج براك وابلوبيكاسو وجو . جري الحروف في لوحاتهم أما برسمها أما . أسلوب اللصقات الذي كان سائداً في أوائل القرن .

وجاء بعد التكعيبيين بول كلي وفيركلان وروشنبرج وغيرهم فضاعصوا من الحروف بكوينات فنية مجردة أو أدمجوها في العناصر التشخيصية من لوحاتهم أو مزجوا بين الخطوط الحرة الصريحة والحروف المتحركة كما فعل مسنجر .

إن معرض فن الكتابة الذي بذل اليونسكو في إعداده جهداً ملحوظاً متعة فكرية وفنية كانت حقيقة ناهم أنكر لو أحسن لها التوقيت .

المعرض الروماني للسجاد والنسجيات :

وفتح معرض من الكتابة أقامت الإدارة العامة للفنون الحميمة والمتاحف بقاعة باب اللوق المعرض لروماني للسجاد والنسجيات .

ويضم هذا المعرض نماذج من إنتاج بعض الأقاليم الرومانية ترجع إلى القرن التاسع عشر وهو إنتاج يكشف عن التقاليد القديمة لهذا الفن



جينا برانسكو - هجرة الأسماك (١٩٦٤)

جوازيلا ستوكيتا - شجرة الحياة (١٩٦٦)



في رومانيا وعرف أصيل من فنون العلاحين في تلك البلاد .

وسرع هذه النماذج في الروانها ورخارفها سواء مثلت صوراً من حياة الأقاليم الرومانية أو تحولت إلى وحدات هندسية بربطاً ببعضها بقون البلقان وبفنون الشرق الأوسط ويكشف عن علاقات بين هذا الفن وفنون تلك البلاد .

وسى فن السجاد الروماني طريقه إلى إنتاج النسيجيات المرسمة المعاصرة ، تلك التي شهدنا نماذج رائعة منها في المعرض الفرسي الذي أقيم هذا الموسم في فندق سميراميس .

وقد صيغت من هذه النسيجيات أعمال لبعض الفنانين الرومانيين تميزت بالإبداع والخيال . وفي هذا المجال قدم المعرض نماذج من الإنتاج المعاصر من إبداع مجموعة من الفنانين مانئين تمثلت في أعمالهم ضرائق هذا .

واستحياته من التراث وكذلك آثار عصور المعاصر على وجه حد

بفصل عن البيئة الزراعية التي عبر عن هجرة الأسماك أو الطيور أو ترجع قصائد الشعراء إلى رموز لشكلية .

معرض الخرائية :

وبمناسبة عيد الفلاح نظم المركز الثقافي التشيكوسلوفاكي بالقاهرة معرضاً لعور الخراية ، هذه القرية الراضة على مشارف الأهرام والتي أصبحت من مشيخت مصر الفنية بعد أن بهرت العالم بفنون فلاحية منذ أقاموا بسويسرا معرضهم الأول سنة ١٩٥٨ وبعده تلتبع معارضهم في السويد وأستراليا وكوبنهاج والمانيا وبتحف العنود الزخرقية بباريس وهاهي ذي لندن تنهي لاستقبال معرض من إنتاجهم .



١١٠ - فارس (١٩٥٥)

وتعد دباب بحرية الخراية منذ اختار المهندس رمسيس أيضاً واصف وهو من المؤمنين بالصقيرة الشعبية في الفن هذا المكان ليحرق فيه تجربة اكتشاف للمواهب الكامنة في نفس صفار العلاحين وأعانت زوجته على المص في تحريكه في البدء اقتصر التجربة على مجموعة من النسيجيات الصقيرة من إبداع فتيات القرية ثم أقبيل الصببية على التجربة إذ جذبتهم إليها محرابها التي تحفقت .

وما لبثت التجربة أن نمت ، وأخذ العالم بروعتها وأصالتها وبهذا العالم الشعري النابع من ذات الفلاحين ومن صميم وجدانهم ومن المشاهد والموضوعات التي يتمثل فيها محصلة حياتهم أنهم يمزجون موسيقى الشكل واللون في ثقة



من أجل ذلك

عرسه أنفسهم ..
سماحه ويوسع ..
السنن الى ومنش واحد

ان تجربة المراية هي تحية ذات دلالة في
عيد الفلاح .. اشارة الى العبقريّة التي جعلت
حصارة مصر وسجلتها .. والى المنايع التي فاضت
على الحياة ورعاية وقد الى ان نصت حين اعرضها
عنها وانقرقا الريف بنماذج من أدوات الحياة
الرخيصة الهابطة .

يستطيع العلاج لو أتيح له إعادة اكتشاف
داته أن يمارس انسانيته ويبدع أدوات حياته من
مسكنه الى قراشه ...

هي ضرورة اقتصادية كما هي ضرورة حياة
يعود الفن القروي والصناعات الريفية الى ابداعها
دون دخيل من النماذج التي تفرض عليها .

قصص شابة



ودعوة إلى القلق

راكب الطائرة التي تفوق سرعتها سرعة الصوت ينظر الى البحار والجبال تحته ويخيل اليه ان مركبته البراقية لا تتحرك ، والصبي المراهق ينظر الى اسطالة عظامه وانتفاخ عضلاته ويخيل اليه انه ينمو ببطء شديد . وعلى هذه القياس فان الشعور بالجمود لا يمكن اعتباره دليلا على بطء التفكر .

والذين خيل اليهم منذ بضع سنوات ان الحياة تسير في جدول او ماتت ، خضعوا الى التساؤل لوهم كوهن راكب الطائرة التي تفوق سرعتها سرعة الصوت . ونحن لا نريد بهذا القول ان نبعث الطمانينة او نتملق الرضى عن النفس . فقانون النسبية نفسه كما يفسر لنا ان الحركة الخاطئة يمكن ان تبدو جمودا ، ينبهنا الى ان الاحساس بالسرعة قد يكون ناتجا عن الانتقال من حالة البطء ، او الركود . وعندما تسود الطمانينة وبهذا القلق ينتفى الدافع الى الحركة . لهذا تفتح المجلة صدرها للشباب القلق ابدا ، المتوثب ابدا ، مؤمنة ان المخاطر التي يرتاد آفاقا جديدة ، هو وحده الذي يستطيع ان يؤدي رسالة الانسان في تغيير العالم .

المجلة

- مسيح
- المراسيم المعالة
- الطوفان
- المرأة المعتمدة

قصة

مسح الراسم لرحالة

إلى ذلك الصوت الذي يساوى
ما كانه صوب الله ...
والذي فعده انما ..



بقلم

محمد ابراهيم مبروك

في البدء لم يكن . حتى اللاشيء لم يكن موجودا ،
لا الصوت ولا حتى الصمت . فكيف ولدت يا رفيق الصوة
لتترجل في الدروب التي لما تجف دماؤها بعد ، تبرز في
العيون المطلبة يدور شسجيرات الدور ، تصرخ تطن أنه
سيستيقظ اسنان ، أفتيت أصواك لتضيء طرقات انقطعت
عنها خطوات الكلمات ، فقدت كفيك لما غامرت بطرق عالمهم
الغريب وصرخت يا أبت : ما أتاك . حدثت فيهم : ما سمعوك
أدبرت وجهك نحو الزيتون : فجسلى ينحجب في الصمت ،
يسج المرارة في كل حصاد . كان صليب العالم
ان يذكرك الصالح ، لكنهم جوعى ، نسوا الحزن
فاكلوا الزيتون ، ومن يومها وهم يجمعونه من مواسم
الأعوام ، ويملحون صوتك في أحواض البحار الميتة ، ثم
ياكلون جسدك المنهك مطوحين بالعالم . ولقد جمت فحدثت
في الزيتون يوما مثلهم ، لكنني رأيت النحيب فتسببت الجوع
ثم فقدته ، وأمعاني تنقلص طاردة مجرد التصور ، فأكفيت
بأن اشبع كلما شممت زيتونة ، ثم تنهيت الى أننى صرت
أقتات الحزن . ماضعا في بطن مرارة الكلمات التي مانت
أنت طلبة

الملك لا يسقط من راسي فوق الآن ، مجبرا على تحمل قدر
الموت في على قدمي الحائرين في اكتشاف طريقة أمنه للوقوف
في بيوتهم . صبح حد يكوم الحمة اسي
بالهيار ، مجتبه لما اكتشفت ان التناوم لم يعد يجدي .
الهرب من الحث ، اذا ما فائلة ان نهرع ونطفيء الأنوار
ونحتبى في الأسرة ونسحب الاغطية حتى نخفي رؤوسنا
ناكلها . ما دمننا في النهاية نفاجأ بأن لا النوم ، ولا اعماض
عيوننا تحت الاغطية يحمينا من توغل الادراك لبشاعة القابع
في داخلنا ، يحدث فينا بثبات كما لو انه يرى في الظلمة
بوضوح ، مع ان ملايين عيونه مغمضة ، الا ان تحديقهم
الاعمى يقرع النوم ، ويجعل الغطاء يطاير والأسرة تنقلص
تحتنا ، ونحن نرتعد ببرودة التحديق الثقيل فنضطر الى ان
نستسلم لعيوننا التي تفتتح كمصراعي نافذة بلا هوادة ،
فتصلب عيوننا على التحديق دوننا قدرة على النزول . وأساول
في ياس يتكرر باستمرار تبين ذلك الصوت الفادر الذي
يهرع قادما مجتونا دوننا قدرة على تتبع مجيء واختفاءات
لونه السريعة او الفرار منه كما لو () . لذا تصفمين
جبهتك واما أتكلّم ؟ لا تفهمين ما أقوله ؟ غريب ألا أتوقع

(*) مساحات صمت تتخلل الكلمات وهي ليست فاصلا ، بل انها اعتلا
غير مرئي لكل ما يميز عن اللغة المطوقة المجدلة بها .



نادج

ذلك بالذات اذا كنت لم يحدث لك يوما أن تقلبت من دحلك على
جمرات جحيم العالم المغمم برائحة شواء البشر . وسوف
اصرخ لو ادعيت أنك حتى لم تشمى رائحة شواء البشر .
لم يحدث ذلك أيضا ؟ يا للمصيبة . مع أن أغرب ما فى عالمنا
أنه المحور الوحيد الذى يدور حوله العالم ، أقصد سيخ
الشواء . لذلك تجدينى لا أستطيع تحمل الوقوف به وهو
دائما يدفع الى داخلى . وما أطول ما عشت أدور به مع جنون
استعمار النار التى تشتعل تحتى ، صاعدة فى انتشار فظيع
حولى ، متقدمة تجاه الآن لتصل اليه من خلال حتى أسود .
واذا كنت سترهقين نفسك بالتفكير دور . نعمى داخا .
فيحكك أن تحاولى الرؤية . بشرط الرؤية فقط . دور سراج
أو أعما . لأننى لا أطلب منك أكثر من أن تقمى بعيدة ،
يحملك من مشاركتى الزمن ، فقط تديرين عينيك نحو
ما صمعه العالم حيث يمكنك أن ترى موميا ، مطلقة اللحية ،
ساكنة متحشبة على آتيا ، فاعبرى . ولو أنتى أعرف أى
إن أمالك نفسى من الارتعاد وشفتك يرتعد بحضنتها ولدى
فارتعد كلما حدثت فيما بينهما ووجدتهما مرموتين .
فرجائى أن تعبرى بسرعة خلخلى ، وأمل أعرف ألا حدود منه
الا تتركى فى السواد أثرا . ولو مررت كشععه سطوت .
محزون من ترك يداه حافة البعد .
سسمعه بشى وبموت بين شفتك .
عنادها بحدود .
سسمى عن عبق المعصية .
لأننى أكره أصوات الندب الداهية . فلا اضيقهم الا بـ لو حدث
أن رأت الفمقة مسير عينك . وصوت ولدى لالى أعرد
هناك . فى النافذة ، صفيرا وحافيا . لأننا لم نكد نحس بأن
الأرض عربية عن بطون أقدامنا . وأردى حلبابا صفيرا
ونحنه فميصا فصيحا دوما سروال . لأننى أحب دائما أن
أقف أمام البنات ذات الضفائر لأحدث مع واحدة منهن
بالدات . أبحت عنها كلما سقط الليل وأطل فى عينيك
فأحكك . أخذك بعيدا وأنت حائقة . أخذ فى الكلام لك فلا
تعودى تذكرين الحوف وتكلمين أنت أيضا لى . ونحب أن
نفرح . يرى كل منا رغبة الآخر فى الفرح فى عينيه رغم
الليل . وننحنى معا نصنع من التراب جدانا بارزة على
الأرض المستوية . تنقطع لجزء فيكون باب . ثم تكمل مريما
من الجدران ، وبذلك تكون قد صنتنا بيتا لنا بجوار النهر .
أتركك تكنسينه وتفرشين حصيرا وهيميا ، وتعلقين على
الجدار فى الليل مصباحا وهيميا . والغريب يا عدوا أنه كان
يضى . والا فكيف كنت أرى ممحك الصغيرة بكل دقتها ،

بل حتى عينييك وحنييهما الاروق تحت حصل
الذهب المهمة على عاصيلها ؟! • وأدعك لبرها
أذهب خلال نهاره للحقل، أحرثه، وأبذر البذور
وأعطيهما ثم أنتظر حتى نبيت الشمس لاعود لك •
وأدخل وأنا أرسل صوتي منب يقدمي ، هاز
ساقى بحركة متسقة مع سير الحمار الوهسي الذي
يحملني وأنا أأادي : افتحي يا بنت • ونهرع
صوت الباب لتفتحيه بأكمله رابعة دخولي بلهفة
أم • وأدفع متعمدا ألا ألتفت ناحيتك كما يصنع
الرجال • وأجلس فتأتين ، وعلى كسر العشار
بقنات المشاء ، وتشتبع • وأعرس في فمي ورقة
معموفة غير مشتملة وأنفثها أمامك وأفتل شاربى
ويذاك تعدان لي الشاى • وعندما تنتهى سيجارتى
وتعرج اكواب شاينا تشتايبين فافهم • وانعصر
صوتي أمرا أمرا حلوا : قومي وطلي اللبنة
وكما لو أن الفروقة أطلعت تأتين بجوارى لتنامي
فاستلقى على جانبي لصق صدرك • ويفتح كل
منا عينييه في عيني الآخر ونرى السباحة مغربة •
ويجعلنا الإغراء نشتمعل بالرغبة فمسلبل على
الساحل وضحك على التوالى كل منا في عيني
الأخر ، وفي لحظة صمت نرق بالصمت على أن
يسبح مع ، فترجع مع ، فترجع مع ، فترجع مع
ولتلك اللحظة كنت أمشي بلا شلال لا شلال
عند اشتداد غروب ذلك اليوم •
يأتى ففررت هاربا من فخذى أمى لانى لي معك
بيتا • لكنهم داهمونى بالملابس السوداء مثلثين
الشوارع الذى يمر فى بطن الحضرة منتهيا عند



ورقة السماء السائلة حيث كانت المقابر نرفخ
رؤوسها المديه الجهمية ، ورقة الندب عالية
معروقة وهم يحملون لي ميا • صمقت فالتصق
بالخائط وهم يتدافعون أطول منى فالتصق بالخائط
أكثر • ظلوا آخدين فى الصوت ، والصنوت
أعلى منى بكثير ، نافدا فى جسدى كنباح الكلاب
التي تجرى خلعي مصصني • رغم الدعر لم أصرخ •
كنت أدرك بدعر أقي أن صراحي لن يخيف
صوابهم فطلت متشيتا بالخائط ، وعندما اختفوا
عدت قادرا على الفرا • فأرجوك أن تصي بسرعة
حتى أريح ظهري المصلوب أمام عينييك • وحتى
أكب عن إيلاام شعفتي كلما سحرت الكلاب
وعضنني دون أن أمك الصراخ فى أفواههم •
لكني الآن أرفع وجهي وأسأل • اليس حراما أن
تصلب ؟ وهل تعرفين يا عذراء لماذا حكم بالصليب
دائما لا تعرفين ؟ • ولا أحد يعرف للأسف •
لكي الآن أستطيع أن أمسك لك بالسرد دوما
خوف • لأن كلامه يحاصره زمنه ويحميه •
السر : لأن الذى صلبوه لم يكن له أب • ولما لم
يحد أحد بحون أن يكون له ابن ، ليرى أنه فى
هذا العالم الذى لا يدرك له ، لا يسم عذروه
هذا العالم الذى لا يدرك له ، لا يسم عذروه
والذين يرحلون قلوب اليهود كرهوا أن تمسقه
معشوقه وعندما كانوا يرفلون فى ثيابهم الممسولة
امامها ويسمعونها صوت الذهب فى أكياسهم ،
كانت تتأفف من النظر نحوهم أو حتى من أن
تدير وجهها عنهم • كانوا يسلكون دوما سلوك
الإقاعى الغربية •

ومعشوقته أتت مثلك نعم ، ظل بلا معشوقة
حتى الثلاثين • أتدري لماذا ؟ نعم ، كانت أمه
عذراء • وظلل يحب العذارى ، فى الطرقات
ولا يجد •

أذكر كل اللواتى رأيتهن قبلك يا عذراء : كن
حبائى • رأيت عيونهن وهن تلد • وتحت الرموش
المهزومة تهدل الأثناء • وعندما كنت القاهى فى
طريقى وأفتح له صدر عيني كن يسلمن عيونهن
لي بألم ويهمن : لم تكن ندرى أنك سوف تأتى
ولكم يمتا أرضنا بلا ثمن () ، ونكست رأسى ،
وعدت أهيم بالثمن المحتبس فى صدرى •

ولكم أخشى أن تستغرقى في الضحك لو أخبرتك بما حدث لى يوم لقيتك ، وأن علما بأكمله من الممكن أن يقلب رأسا على عقب لمجرد أن يتعرف الإنسان على الإنسان . يكفى أن أذكر لك أنني قلمك كنت لا أتحمّل رؤية الأشياء ، وأحيانا الناس ، بل قد ندهشين لدرجة الغرغ لو اعترفت لك بأننى أحيانا كنت () نعم ، لا أطيق أمى . وأشد ما كان يصيبنى بالاشمئزاز من العالم ، مواجهتى بالمحطمين فى الطرقات . بالذات بعد ما يشست من امكان انتشارهم بعد ما رأيت العالم كله وهو لا يعدو كومة من حطام .

وعند ما كنت أدخل كهف الغم ، كنت أرى قبل أن أرى أى شىء كل ما سوف أراه : الغم يتراكم كدورات الفيزار المتساقط فى أعمدة الشمس المائلة ، يثور بالكس ثم يعود ليساقط كثيفا قاتما فوق أمى وأخوتى ، والأشياء ، ماثلا الأرض . لكن ثمة فرق واحد : أن الغم فى بيتنا لم يكن شره الكس ، وإنما مجرد التنفس . لأن الكلام كان تلال الغم ذاتها . كنت دائما أدخل فارغى من الحشمية الجامعة على نصف سرير . تحت رأسى ، وأهرب من الكس . بيتنا ، فأحرق مرغما فى () ينخفض فوقى ، ودونما حوى طاردا كل أنفاسى وبى رغبة واحدة بحمل مكانها إلا تعود .

وكأن حبرا لم يبق لصفاء حتى فى ده ورغبتى بالهدوء الأخرى . صمعة ورجعت . وحرق حتى وكان أحرقا رأسا على عنى من عوذاب هم أسى حاصد كى يحل بها . يعود ودهما قدح الماء . تضعه أمامى وأنا أتابع قبضتيها المبتلئين من غسل القدح الصدى . وكل منهما تقضى على الرقعة المقابلة لها من الجلباب على الفخذ لتجفف نفسها به . ولذلك فالجلباب دائما ملوث عند فخلنى أمى لدرجة القدرة () . وأنذكر أننى سمعتها ، ومن تذكرى لصسوت لهجتها أعرف أنها سألت ان كنت أريد شىئنا آخر . وأرق الطعام لعثرة طويلة ثم أهز رأسى بالنفى ، لكنها لم تكن تخرج بسرعة . كانت تبطنى كما لو أنها مرغمة على ذلك بدافع خفى . ولم أكن بالطبع الذى يدفعها لذلك لأننى لم أكن

أبتسم لها فى هذه السنوات الأخيرة أبدا . ولابد أن شىئا فى داخلها كان يرغمها على أن تعتمد الإبطاء فى الخروج لتقف مسافة الوقت التى تكفى لأن تسألنى فيها ان كنت متضايقا من حادث وقع لى . مسافة الوقت فقط صمعة لأنها لم تكن تسأل . ربما لو كان ماتراه فى وجهى يحدث لثرة أو مرتين كما كان ذلك فى الزمن البعيد لكأنت سألتنى . لكن لابد أنها ينست لما رأت الإحابة من أعوام طويلة لا تعتمدى الصمت ، والأغراق فى التجهم . ولابد أننى كنت أخفيها بعائتى تلك الى الدرجة التى تخاف من أن تسألنى ، إذ كانت ستلى ، فقط من الخروح لسنامنى بحسرة لا مقطع ، هذا إذا لم أفاجئها وأحرق فى عينيها مباشرة ، أما اذا حدث ورفعت عيني فى عينيها فكانت عينها تترجعان بسرعة منسحبتين خارج القرعة () وأضيق بكل ما حوى . ومن خوفى أن تعود وتجتنى لم أكل الطعام الذى قدمته الى ، أفوى لأكفى . على الحز البارد ، أقطعه وأغمسه فى سى الطعام البارد ثم أدفنه الى الأسنان التى دفعته روحا الى البلعوم المتصلب فى برودته بعد سى حوى . وأستسلم بعد ذلك سى حوى . سى دمرنا وأصبح سبط الماء . فاحس بأننى امتلات . وعلى أنى شبعته صده . وربما لذلك السبب عسلت أسناني جيدا بعدما دهشت لما صادقتك تشيرين فى عتمة طرقات البناء الصخرى رعشة الظلمة حول أجلى السمكات المضيفة و () أبدا ، لقد استنفدت كل قدرتى على التذكر ، علنى أعود أحياء تلك اللحظات البعيدة . واكتشفت للأسف أن كل ما أستطيع استعادته لا يمدوا خارج التحول : الشكل ، الصوت ، لمسات الأيدي ، أما هو ، ما هو داخل كل هذا ، فأننى أعجز تماما عن أن أوجد فيه . بل أوقن الآن أننا لا توجد مرتين أبدا . وما أذكره بالتعديد ليس سوى شكل المافذة التى التقينا خلالها :

كانت رقعة مستطيلة رحبة من السماء ترتفع وتبهبط فى منتهى الصفاء على قمم انحناءات حصلات شعرك الطويلة التى كانت تصعد من فوق الجبين الشماق ، صانعا اقوا سامد هلة لدرجة أنها بدت قادرة على الزهو أمام وجه اله . ثم تتحدر رشيقا

سَبَّحَ دُومًا أَمَامَ دَهَشْتِي وَسَوَّالِ الْمُنْتَظَرِ الَّذِي لَا يَكْفُ :

— کیف چشت الی هنا ؟!

• انسى ذلك الآن •

وظل الفرح يدفع سؤالي كيف جئت ، ومن
 أنت تحطن بعينيك وجهي كله وتصمتين
 بعد حب من ذاب احب - من مسي
 بعد ذكرك بعد اهداه مستطع
 يجد في اسفل - حيث ()
 ارف - كل ما اذكره جانب وجهك والبسمة
 تنزل من فوق خديك متلاشية ازاء ما تنظرين
 نحوه - ثم ترتعش في الشفاء وتبوت ، والامواج
 تسكن - كانت رغم كل ما يحتاجنا فوق علو
 الطوفان بالداخل ساكنة مسجونة بالصمت
 وكاد الطوفان الذي صحوته عليه يوما أن يتلاشى
 دفعة واحدة فاهوى مرتطمًا بالقام الصخري .

وتحركت أصابعي بسرعة نحو رسفك ،
 وسلمت وبر المثرة الزرقاء الخفيف وسلمت
 مقرة البد كانت بدلت تخنق وحدها وأحسست
 () ... لك ... لأخوتي ...
 ... دل ...
 وبسبب كل أن الشمس التي لم تر العالم
 ... والبسة تشبث وتذب بايقاع هائل
 الفوضى والتناقض ، والموجات الفوحه تعزف
 ...

• کان قاسمیا ۱۴ •

لم يكن له وجه انسان أبدا .

كنت أعرفه ، لكنني لم أتصورك أبداً اِزاه
() ومثالتك دون أن أتمكن من
البناء سخطي :

— لماذا عشقته ؟

وحدثت في () ثم ابتسمت بسرعة :
- رغم كل أعوامك الثلاثين فمازلت طفلا .
انزعجت من سخطي إبتسامة مماثلة لكنها
كانت مثقلة بالحزن في شعتي :

— لقد عانيت تاريخك كله في البحث *

• أعرف • ولذلك السبب فمارلت طفلا •

عالم فرادى على حسب شعاع أشبه في فاف
 رأسك وعبر أذيك ملتقية في راحة
 أخذت تتوهم في لعبة لم تصنعها الله يد بي
 العالم أبدا ، إذ تجرى الأنهار الثلاثة وقبدا في
 النوص والبزوغ كل منها من تحت الآخر على
 التوالي دونما اختلاط أبدا . مضيق بلا شمس
 لعبة شاحقة الروعة لا تنتهى الا عند أسفل الطهر ،
 حيث عقدت شريطا سماوى الزرقة توقفت عنده
 شقاوة أنهار ضيفرتك بأعذراء . ولا أدري كيف
 اتقنى الجراءة على التوقف عند أنهارك ، ربما لأن
 جسدى قبل هذه اللحظة كان مشحونا بالثقل
 من العالم . وأحسست برغبة طائفة : أننى أرغب
 فى أن أغتسل حتى النخاع . وتحلو الرغبة فى
 الاغتسال كلما راقبت لعبة أنهارك . وعند ما صرت
 الى جوارك كانت الأنهار لا تزال تواصل لعبتها ،
 وفى اللحظة التى تلقيت فيها ابتسامتك توارت
 الأنهار لتأتى أمواج تولد بلا توقف ، تعزف
 سيمفونية غامضة أحس فيها رغم كل القموض
 باننى آتوتيلاشى العالم الوصفة () وليست
 أصغى ، وأنا أقامل شيئا وإنما بولد فى عالم لي

() لا ، ليس هذا ما أتيت به
كأنما رأينا () لا ، ليس هذا ما أتيت به
آه ، ملعونة هذه اللغة التي تدعنا نكسر
الأخرى . تصوري يا عذراء الأولى كيف
الكلام منك الآن ، فافاجأ بأن استأنى قصر على
ألا تسمح لي بالكلام ، وأنتي مهدد الآن ألا أكل
حكاييتي لك ، وأن أحدث حدث وسوف يتحول إلى
ماض يموت ونحن ورايه دون أن أقول أقول لك
() يا عذراء ، أو ()

يا عدواه • أه ، لن أحتمل طويلا لو ظل هذا
يحسب - لكن للأسف ، يبدو ألا مقر من ذلك ،
وأنتي لن أحكي لك أبدا عما حدث في حياتي
لحظة أن اصطخمت أنهارك لحظة أن رأيتي - وما
كميلادي ، أو ربما ككل ملاد ، يوجد دون أن
نستطيع رؤيته بوضوح ، ولو لا نستطيع التعبير
عنه بصدق أبدا • ومع ذلك لا أستطيع أن أكف
عن المحاولة رغم حداث العبد :

شفقتك منرجتان ، تسفيني الاضواء .
والسحابات في نافذتي الشرقية نخضر حول
عالم جديد يتعدى في الشروق ، وابشعائك التي

أوشكت أن تكون أبدية () حاولت أن أتذكر متى بدأت تجلس هكذا ، ربما قبل وجود الزمان الذي تعسفه أو المكان الذي يأسرنا ، أو حتى الشمس كشمس • أحسست بالاكشفاف يحيى قطعة () ماذا صنعتها كي توجد وتظل هكذا ؟ • وأخذت أعاني رؤيتها وهي توجد • والشمس تتسلط عليها وتحركت الدرد المولود ، ثم وهي تصلى لمن وراء جحيم الشمس وجنات المطر وتسأله الطعام بعد أن فعل فعلته • اكتفى بأن غرقم وهو بعيد : عندك نخلة فزيتها • تأملت للمهجة وهزت جزع النخلة ، لكن لم يتساقط شيء • كما أخبرتنى في نوبة غيظ ، لأنها كانت مجعدة ، وكان المعروض أن يهزها هو •

لكن الغريب أنها لم تكن تشكى لي منه ، وكان يطيطنى أنها تعسقه رغم كل تعذبه ولا مبالاة بها •

وبدأت أعاني من وعيي بأنها حزينة فعملت
كان يوجد طعام ، وأصبحت أروحوها أن تجلس
أول طامي ، وأطمانت أمي لي
أنا شكر ، فأحدث أصمى
ممن لم يسمعني سكر يجعلني أصمى منها •
بدأت أحس ، وكما لو كان ذلك لأول مرة ، بأنها
تعاني ، وتعاني أكثر بكثير مما كنت أتصور •
بل أخذت أحس أحيانا بما تعانيه ووجهها
يتقلص ، والمعنى الصعب يحاول أن يطره ثم
لا يلبث أن يتكور تحت الجلد وبعدها يختفي
شئ شينا ، غائضا في القلب ، مفجرا دما
أسود إلى شفاها أمي التي تأخذ في الارتعاش
بعمز ، وأحس بما تعانيه قائما أزالني ()
لا يسمح أبدا بمجرد التفكير ، لدرجة أنني بدأت
أصطر لحظة أن أدير وجهي ناحيته إلى التراجع
بقمزين أو ثلاثة خشية أن أحترق () أبدا
لن أنسى لحظة أن حدثت في وجهي وتأكدت من
أنني أصمى () •

أسف إذا وثقت الآن أنني عاجز عن نقل
هذه اللحظة لك ، وأن حبر الطباعة لا يمكنه أن
يفعل أكثر من أن يكون حبر طباعة • كل
ما أستطيع أن أذكره أنها لما تأكدت من أنني

على جسدي من التراب ، لا أنهم السر بالضبط ،
لكن ما أذكره دائما أنني بدأت أهبط المهر كثيرا
لاعتسل • وأطل لساعات غير محدودة من المياه
الحلوة الدافئة وهي تفصل جسدي وأنا أناملها
بشفغ تتدافع في موجات صغيرة تهطل بين
شعر ذراعي وساقى الذي كان يتموج مع المياه
التي لا تتوقف عن الجريان • وكنت أترضى
لنشوة طاغية عندما أنصب وأنامل هبوط
القطرات على جسدي الشاهق () كان
أنا مصريا يفتسل تحت شلالاته •

وما جعلني أستسلم تماما لتيار الدهشة
الذي بدأ يسحبني بده رؤيتي للعالم كما لو أنني
أكتشفه يا عذراء : اكتشفت أن جسدي كان
يختبئ فيه كائن يملك أن يجعلك تبسمين له ،
وأن الجحور العجيبة التي كانت تحاصرنا
فحسب فيها بيوت ولها نوافذ ، وأن الشوارع
ليست سراديب لمل ، وأن الأشياء ذوات الرأس
الواحد والأربعة أطراف ، والتي ترتدى مرقا
مضحكة من النسيج وتتحرك مشدودة إلى الأرض
دائما ، لم تعد أشياء : أثبتت فيها دجا عيون
فأصبحت ترى • وعندما كنت أجلس وحيد
منهم يدهشة ، كان هو الآخر من عيني •
وتصورى أن يستحيل شيء إلى كائن لدرجة
أنه يستطيع أن يبادل نفس التصرف ؟
() نعم ، بل حتى تماثيل الثلج ،
أدائها المضحكة التي لا تنتهي في نافذتي الشرقية
فأصبحت أنامل بحب غريب شكل تسريحات
الشعر ، وطريقة السير ، وإيقاع الخطوات
الرشيقة التي تنظر إلى الإمام ، والثقة الغريبة
في أن الطريق يخضع للسير ، بل كيف يتطوى
الكحل فوق الرموش الممدودة ويحمر اللون
الأحمر فوق الشفاة ، بل وفي مرات عديدة ،
لاحظت أن عيونهن أخذت تلمع ، وفكرت بفرح
تجتاح الدهشة كيف حدث أن تحولت كتسل
الثلج إلى أنات ، بل والأغرب من ذلك أنني أخذت
لا أستبعد أن تكون بينهن عذاري •

ولما دحبت بيما لأول مرة وأنا أحملك ، وجدت
أمي مازالت جالسة مستندة بظهرها على جدار
الفرقة بحوار السرير الصدي • جعلت أقترب
منها وأنا منهش لوجودها على هذه الحالة التي

أصغى توقفت شفتاها تماما ، وأدركت أنها تؤنب نفسها لأنها شكت لي ، بينما أنا أصغى فعلا ، ففرت فجأة وحملت الطبق العارغ وسالتني ان كنت أحب ان اشرب شايا .

لمحت الرقعتين المتسحبتين في ثوبها ، وضحكك يا عذراء ، فأحسست بأنني أختنق ، وقلبي يتفص تحت وخزات حادة فقفرت ورامها . وضعت كفي على كتفيها وأنا لا أجري على النظر في عينيها ، وعلقت عيني بشعلة البترول والدخان الأسود يتصاعد عذيرا خانقا الى رأس الموقد . وقلت لها ان كل هذا سوف ينتهي ، وأناك تحملت كل عمرك الماضي فلا أقل من أن تتحملي إياها قليلة سوف تمهي بسرعة ، وبعد ذلك لن أبعثك تعطين للفرح أبدا ، ولحطتها كنت أدراك يا عذراء .

ابتسمت أمي ، والدخان الأسود يتلاشي من حول رأس الموقد ، وانتهكت في اعداد الشاي ثم سمعتها وأنا أشربه في غرفتي تنكلم مع جارها بصوت عال ، بل وسمعتها تصحك أيضا .

وشد عصب اللبس بوشك من بعد في الصباح فرائك يا عذراء تسمى لي حبرك الليلة ، أخذت أحرق مشدوها في الجحر المزهج المتقد من أول ساحل الجذب المتسع ورائي حيث المحارات الفارغة تحت مناظر الطيور الجافة ، وعظام الهياكل العارية على هياكل السمك الميت ، ومحاجر العيون الخاوية ، حتى ينقلني عبر كل الليل الى استدارتي عينيك وهما تستجبلان الى بوابة واحدة تقع في نهاية النهاية أسفل الزلزلة الصلبة الصدنة الزرقاء ، مستديرة عبر البعد القاسي ، مفتوحة على عالم لم ينم كمالنا خوفا من الظلمة لأنه لم يعرف سوى الصحو في حضن الشروق . دونما ليل كليتنا ، دونما موتي .

أول ما رأيت ذلك لم أتمالك نفسي من أن أصبح متباديا على الذين يتساقطون ميتين على الرمال خلفي ، ونصف عددهم لم يميت من الموت نفسه :

— سيأتي يوم لن يموت فيه أولادنا .
كفوا عن حفر اللحد لأولادهم برهة . سمعت

فيها قلوبهم تضج بالفرح ، لكنني سمعتها تصاب بالسكوت في اللحظة التالية ، وهم لا يصدقون أذانهم ، لأنهم عادوا يحدقون في الأرض فلم يروا سوى الماضي الممدد في لحد ، فأنخرطوا في البكاء :

— أنت لا تقول الحق .

وكدت أسقط باكيا معهم وأنفذ صدق رؤيتي لولا أنني تمالك نفسي ومسحت عيني بسرعة وقلت لهم بصسوتي المبحوح : أقسم بكم أنني رأيت . وعدت أجول في الطرقات أقول للرفاق :

• ارفعوا عيونكم . . .

وانشروها الى أقصى ما تستطيعه الاجنحة . . .
فلن تعد قمة الطوح

حتى سبب مفره . . .

ارفعوا عيونكم ، واملاوا الاشرعة بأفق المسالم

لأنا

سئالي باطفال لن تموت . . .

سئالي باطفال لن تموت . . .

وأخيرا حدثت عذراء لحظتي ان سهيت من بعد في الصباح فرائك يا عذراء تسمى لي حبرك الليلة ، أخذت أحرق مشدوها في الجحر المزهج المتقد من أول ساحل الجذب المتسع ورائي حيث المحارات الفارغة تحت مناظر الطيور الجافة ، وعظام الهياكل العارية على هياكل السمك الميت ، ومحاجر العيون الخاوية ، حتى ينقلني عبر كل الليل الى استدارتي عينيك وهما تستجبلان الى بوابة واحدة تقع في نهاية النهاية أسفل الزلزلة الصلبة الصدنة الزرقاء ، مستديرة عبر البعد القاسي ، مفتوحة على عالم لم ينم كمالنا خوفا من الظلمة لأنه لم يعرف سوى الصحو في حضن الشروق . دونما ليل كليتنا ، دونما موتي .

.. ..
.. ..
.. ..
.. ..

يا آذانا طينيه () مستحيل الرؤية ()
الاحتمال . وما حدث وكان أقسى من احتماله
تحوله بظاعة الى الممكن () - آ - بلا توقع
أبدا ، ومن جوف الصمت الهادي المتطاهر



ولقد حاولت أن أوقف عيسى عن الاقترار
 قطعته يد () وأنا أرقع حيث المسامير
 ترشق في راحتي المشهودين بتسليم بعيدا عن
 دعر اسماء اراء طفيان استحيل * و ()
 يسو بيضا ، يتسدد ، يستحيل الى ابعاد
 نتوحش ، رفد كفرى البحر ، كاندروب اللولبية
 اوعنه في الزمن اسحق ، غليظه ابقوام كموجت
 استحال الى قبضات حرافية تحق ايه اصوات
 سقط فيها * وازاء طعنات المساعات الموعلة
 فى دعى سقط صوت الاسان ()
 وبعده صوت كل اشيء العالم ، فاحذت آتأمل
 حويلا : صمت اريتون * عدت اطر لهم ()
 وعدت كفى وأنا اطر لهم * لم يحتمل الرجال *
 لم يقف بجابى سوى الجبالى بطرت لون ()
 أما العدواء () رفعت وجهى مدعورا من
 اصممت فحظ على الصمت ، وارتفعت الى السرسماع
 المعدي التى منطلق رعا عنها طول رمى التعذيب
 وسدع لائدة برأس احد من المسامير المحية في
 بى * وسقط وجهى من الصمت عائدا الى الصمت *
 وحلم المحامير * العيون التى تعانى الرؤى
 حارب * ييب * بيساي * لا يصرح ، لا
 الا يطلب الرحمة لا يثور ، على الرغم
 () وصمت نفسه *
 ذلك ، وتذكر كذا سوف يأتى فجعلت انتحب على
 عالم الذى يعتمد من بعد ما صليت الكلمات *

وارفع وجهى نحو العالم الصلب ، وجهتى
 لم تمنح من عليها ظلال الارض من طول الانحاء
 فوهها ، وأحدق بجعل الذى كان وأذكر مانسوه
 () أبدا ، من الصعب يا أذاذا طينيه أن
 تثبت عيوننا على عالم غير ثابت ، عالم قوس قزح
 أكثر وجودا وثباتا منه ، عالم يوجد ويفنى فى
 كل يوجد ، وفي كل يفنى - نراه فى اللحظة التى
 لا نراه فيها ، وعندما لا نراه نراه ، وعندما يوعل
 فى حضنتنا محس بأنه ليس فى حضنتنا أبدا ،
 وعندما يتسعد نحس بوجوده بين الانداء تماما *
 كما لو أنه تعلم الحديبة من مخادع لم يضبطه
 احد حتى الآن ، ولو ضبطوه لن يستطيعوا اثبات
 أنه مخادع ، لأنه فى اللحظة التى سيمر عنه
 فيها بأيديهم لن يكون بين أيديهم *

بالاكثراث ، القابع في سحر
 بقدر مدعو من ناعل
 ليست للريح ، أخذ يبدأ صوت انحدوت * محالا
 قاذما بتؤدة كما لو أنه ليس غريبا ، موعلا فى
 الوجود على حساب تحليل عن استغراب وجوده ،
 محققا نفسه بتراجعا وحرارا فى الصمت ، سارف
 أرضا من تحت اقدامنا * وأغرب امتا لا نبدأ
 فى الاكتشاف الا متأخرا جدا *
 لرى فيها أرضنا تدور بعيدة عنا ، تحتنا * ونحن
 نبوى فى الهواء السحابة ان سبب حيا ادم *
 حيث () حين () أبدا * الا معنى
 هو المعنى الوحيد لاية صرحة تطلب الجدة * فى
 الهوة لا أحد يتجد أحدا ، لأن لا أحد يملك أرضا
 على غيب ، فكيف سبب سبب سبب *
 المتبعة دى حى سبب سبب سبب
 المسحبح * وسبب سبب سبب سبب
 الى صرحاته *

وكم نحن ضحايا خداع أبدي أكثر وجوداً من الأبد نفسه ، نشترك فيه أمنا التي تضاجع أي رجس وتدعى أنه من صلب الالهة سوهمنا بسا آله ، وصحايا انشيه ابكاره التي تنحني لكل عز يستطيع أن يشعل نارها بعدما يهدم الأسوار . طاماً أنه سيأتي بالنظام ، وصحايا العالم الحربي الذي يستحيل طيباً بالظلم وتلالا جده بالقيط ، وقمحا ، أو عطفا ، أو توتا ، حسبما يوافق الفصول . والا فكيف فقتدت الزمن الذي كنت أدخل فيه بوابك المشوهة بالأبد المشرق دوما وهي تمنح لي فاهت يا بعالمى الرائع ، وأحس بعد كلماني بالصدى يطاول في ذاتي لأحس بأنني ما يتوهج في الشمس ، ويصفو في الزرقه ، ويصلص في جريان الانهار ، ويخفق في سماه الاجمعة ، ووراء كل انتطر يجيء ، وبعد كل جوع يأتي اعياد حصاد ، وفي أمسيات النهار الشقية سيم رخاء ، وللزوجات اللوامي يمدبهن خلو العراش في الليل الارمل روج يعود ، ويسرى للعداوى فيحتضنه حلما ، ودما بجراح بحريها أية أسوار ، ويوجد فيبحث امره .

جديده ، وأنى كالاله القدير ليديهم لا جعديكم بضمير حساكم ، لا أله كل يوم أينما كنتم ، لكن يلحقكم ذراكم لسان قطة احتضنتكم ، لتكويوا القلقه وينتفض ، لهنه بلا تمن . لكنى أعود أسي ما تسوه ، والأشياء تدوم بالوميص الذي يعنى قبلما يحتفى ، وفكى الأيسر يتم فرعا في حضن الكتف المرتفع ، ذراعى أناملهما بحسرة الذي اكتشف أنهما لم تعودا ذراعه ، وشعاهك تنكور ب () مستحيل ، والعالم يحمل وجه يهوذا .

عندما كنت () لم أكن أعرف ذلك . كنت أيتسم فقط ليبدأ كل ما أيتسم له صراعا عاشقا من أجلى أبدا لم يكن كيوم أن جثت لك وجسدى جمره تنفس في فيض من الهواء السخى ، مجنونا بالاحترق ، ورغبة الرماد المعمر في أن يصحو ، أن يستمر ، أن يجن بينما هو يتصاعد عاليا ، ويدى نظير لتلتقط يدك ، وعيناي تعردان أجنحتهما لتما في عشك فاذا بالباب يبدأ في الاغلاق ، وأحس باللحم يثقل فجأة ويتعرض للندمير اذ بدأ يفقد جلال صحوه الأبدى . لكنى

لم أكف عن اداعة الويفف والتحديق موغلا في الاقتراب ، وأنا أخفق الصرخة وأصارع نهش الاستغراب المتوحش . وتحول كل صيب الى يد نحسسى بآبك الموصد بلا سبب فلا أجدهما رفاوين . وإن كانا رعاتين كما رأيتهما فكيف ملكتنا الرقة التي اسودت في عيني أمى كل ذلك الزمن ؟ وطعنت أسبال () هويت لفروق قبلما أتمكن من الصراخ ، وشفاهى تتلوى بلا جدوى . ثم نستسلم كل منهما لمنصفه بالأخرى في صمت ، وعيناي نبعان قواس الشمر التي تليق باستقبال اله ، وهي تستدير وتبتعد وعيناي مصلوبتان على آلهما ، تناملان للحظة أخيرة قبل الفرق أو بدى : الأنهار الى أخذت رجح بعنف خللك ، وأنت تباعدن بها ، تاركة طوفان حارفا من الجلب يدفع زاحما بحوى ، وأنا أشرب رغما عى عطش الصحارى اليهيمه دون تبرير عادل يا () نلانى النامل حتى اقتصر على العمى . وخلف العمى عسالم كان يولد لي يفرجه منى وودعوه الصمت . لكن صمتي يفسد داه ، وليس محتملا أن نكتشف أننا

سبب عالمنا وأنا فجأة نحس بالأشياء . والشئ الوحيد الذى يبقى ، عرى أصابعنا البارد . وأن كل عدو العالم الأبدى كنا نحس به تحت أصابعنا كراس طفل يسحب لبنا ، يستحيل الى رأس داعرة تتحدى أى حسان يحاول أن يحنوها بسخرية هارئة صلبه لا تملكها الا داعرة نجيد ههده الرجال لثلاث دقائق تجيد بعدها نسيان انها رقدت معهم ، أو حتى رأتهم في حينها () وأدير رأسى لأرى بوصوح عيني وهما تنسلحان عى ، وتنسكمان بعيدا وتسطعان على وجهه الأرضى ، حيث الألوان الكالحة ، والوجل الدموى العالم الذى لا ييجف ، والطين حول رأسى يبدأ نشيدا فارعا تحت الشمس الرصاصية ، يشتد ويخفت لكنه لا يبتعد ، وتندرج العينان ببطء ليس لتتأملا ، لكن لتنفقا أناسهما في مواجهة الأشياء . والحيرة في جوانب الأشياء تجرحهما ، ووجود الأشياء البغيضة يجعل جسدى يرتجف ، غير قادر على أن يثبت في مكانه أبدا ، وأحاساسى يتسلل بالشرع المشدود للإبحار وحبالة تنقطع

ويبدأ يهوى في التراجي () لا إبحار .
وصوت الموج يتخلخل في العالم الضحل ، والعودة
لوقوف في المخاصة التي تبول فيها الخنازير ،
والتي لا يعبرها انسان الا وغسل قدميه من
أنارها قبلما يمضي .

وتندرجان ببطء تحت ثقل الفزع ربما
تواجهان شيئا أقل مرة ، وإذا بهما تتوقعان عن
الشمس تماما إذا ما حدث :

جف ما في التي كانت كائنات () عادت
تتحرم حول نصف طولها ، وترتدى أكماما طويلة
في سيقانها وتتحرك ، فيقفز القبار من الارض
ليدوم في الهواء ثم يعود ليساقط فوقها فتستحيل
الى لون الأرض والشمس نفسها بعد أن انصهرت
وتجمدت استعالت الى شحوب أوعل في المتعة
حتى السواد ، ثم هوت في برودة الرصاص .
والاشياء ذوات الأطراف لا تسكن أبدا . ربما
تسكن اللحظة ، لكنها تصود للحركة وهي تحرك
أطرافها ، وأحيانا تحرك أطرافها دون أن تصادر
مكائنها ربما يصدر أصوات حرة ، وربما
منهم يصدر صوتا وحده () واعتبر منهم
يبحرن . فجمعوا يرون قريبين جدا ، وربما
كما لو أنهم لا يحسون بي ، ولعلهم
ما صدمت به مرة . وقد حان وقت
يجري وراء شيء آخر ثم اشتبكنا معا .

يتصارعان حتى أوقفه الشيء الذي جرى وراءه
على الأرض . ثم رأيته يفتح ساقيه بعد أن أوقفه
ويرتدى فوقه ، والشيء الملقى على الأرض يتأوه في
استسلام حتى نهض الشيء الآخر واقفا وبصق
عليه ثم مشى مبتعدا عنه . تأملت للشيء الملقى على
الأرض فطلت أنظر له . رأيته ينسحب وينزوي
بجوار جدار حجر () وبدأ يتفلق . بعد
فترة أخذ يصور صوتا يشبه الانين وهو يسمح
على انتفاخ بطنه ، وبعد فترة طويلة من الانين
النصادر عنه رأيته يشحب تماما ، ودرجة صراخه
تعب وتساوع ثم تمدد على الأرض ورأيته يرفع
ساقيه الى اعلى ويأخذ في صراخ عال جعلني أكاد
أجري بعيدا حتى لا أتعذب بمسماعه ، الا أنني
تسمعت مكاني ، اذ صرغان ما لحت شيئا صغيرا
جدا يظهر من بين ساقيه المرفوعتين ثم تمتد منه
أربعة أطراف صغيرة ورأس ، وفوجئت به عندما

انطلق جازيا نحوي مصدرا صراخا صغيرا مادا
يده الرفيعة ذات الخمسة أطراف الصغيرة جدا :
أيت ، اعطني خبزا !

صعقتي الادعاء ، وودت لو أبعده أو أصرخ فيه
أو اضربه أو أحرى منه ، واستغفرت نفسي لمسا
أخذت أأنامله في صممت وشسعره اللين يكر
يتخذ لون الرماد وأنا أتسائل دائما وأنا ملتصق
بالأرض ومؤخرتي تؤلنى ومع ذلك لا أملك القدرة
على النهوض () ما معنى هذا ؟ رفعت رأسي
عنه أن أتنفس بالسؤال فلم أجد أية سماء
منحتني قبضة هواء نقيه ، وكنت أريد أن أسأل
بصوت عال لكنني لما جوابت بذلك () عدت
أدرك أنني بلا أب () ، وإن أى سؤال سأرسله
سيمود محترق الأجحه ، رفعت جبهتي في جبهته
() رأيت حوائط الا جدوى منتصبه بيبي

وبين العالم . وبدأت تسقط حتى الرعدة في
سواد ، أعدى ، ما دمت قد عثرت عيب
في راحتي وأجد أصابع يلى غاريه مفردة في
رجلتي . سب من شوم حائ ()
حين . بحداه أمنية أن أعود أزرع وجهك
ما . فجا بلا وعي ، بأنهما قد عادنا
و . من منهما من الاخرى دوسب
رغبة . كحيودبي فرمين من جنس واحد ()
لم يحلفا منعربين ، وليس بين ساقى كل منهما
مفتاح المدن الموصدة . لذلك فهما مرغبان
بدافع مجهول المكان والمصدر على أن يتقاربا تحت
الضغط المهيئ للقدح ، وكل منهما ملعون ، ويعرف
أن الآخر ملعون أيضا ، والتقارب بينهما يفسد
لعنة تجمعهما معا () والأصابع تياس في
البحث خارجها فتستسلم . وأرى كل أربعة
أصابع تنجه في انكسار الغزاة المرتدين نحو فراغ
أصابع اليد الاخرى ، حيث تدخل حانية رؤوسها ،
وتركع ، ثم تنثنى صافعة رؤوسها بظهر الراحة
الاخرى الصخرى صانعة سجودا ميتا مملنة به
هزيمة البحث أبدا ، طالما أننا لم نحفر لنا منفذا
آخر في جدران الطريق الجرانيتي المنحدر مؤديا
الى قاع لحد . واصبعاي الكبيران ينهضان قائمين
معا بجوار بعضهما ليسدا القوة التي تؤدي الى
الفجوة التي سقفتها الاصابع فاستحالا عمودين
لأب المقبرة ، وبينهما فتحة فرج أسود تؤدي الى

وسط قشهما الوثير وأنا أحكى السكوايس والاحلام . ولم
تفك عن الصبح ، وأخدت توهجتي يوماً بعد يوم . ولم
يكن عبثاً اهتمامك بتسريحة الشعر واستخدام قلم الروج .
وكما تسير معاً ذات غروب ذهبي ، قطعتم زهرة بيضاء من
عصن قريب ورشفتها في شعرك . وتعانقت يداي . إلا أنني
لم أستطع أن أقول الكلمة التي تنتظرينها . فما كان ذلك
بوسعي . أقسم لك ! ومع ذلك فلم يكن يليق بك أن تغلبي
البنية في وجهي ثم تقعي على الحياض بيتي وبين اللصوص
جرد أنني لم أستطع أن أنطق تلك الكلمة . . .

اخيراً . . المؤسفة !

دق قلبه بخوف مبهم . رحب به السكرتير بدهشة :
- انت صبحي ريدان . . . كنت اتحيلك فتوة !

- من سمع . . اصنع على السجدة
بعد تردد . .

- انت تعرف ان الموضوع سرى للغاية . لكن . . من
أجل خاطرك فقط . . .

وأخرج من درجه ملء أخذ يقلبه . .

- سر سم حبيب

بدت الورقة لوجه ملء بالخدري او الضدام

- من يصدق . . .
- انت ومرا . . .

كذب . . كذب !

- من هو ؟

- انها . . خطيبتى !

- ماذا ؟

- كنت أنوى . . . مستحيل . . مستحيل !

- لكن . . هذا قتلح . .

لهض وخطا نحو الباب فى صمت . هتف السكرتير :

- ألا تقابل المدير ؟

واصل خروجه . . الفصيح يطمس عينيه . تسلط
على ذهنه شيء واحد : أن يلحق باول قطار الى هناك ليقابله . .

عند محطة الأتوبيس أخذ يدور في دائرة ضيقة . دق
عمود المحطة وهو يطحن أسنانه . توقفت أمامه عربة .

يتحرك نحوها بصعوبة . . وماذا بقى لأفعله ؟ . . سارت
العربة من خلال جسده وهو عاجز عن الحركة . يفادر المحطة

دون أن يتخذ قراراً . قلعه تطيح أمامه بعلة سجاجير فارغة .
لا يبالي بالشمس التي أصبحت عمودية . تاهت علة السجاجير

عن عينيه . يترنح . يحتنى بالجدران من سياط الشمس
كحيوان جريح . وفي جيبي البنطلون تبتل قبضتاه بالعرق

. . عرق دهني يعوم فيه كل جسده . .



.. وظار الحجر الصغير ليخترق الشارع العريض
ويستقر أمام باب عمارة .. ها .. أما حظ ! ..
ربما كان المقصود ان اكون البواب ! .. فلنحرب
مرة اخرى .. اوه ! .. وماذا سأفعل في قاع
النيل ؟ .. فلنر هذا .. آخ ! .. كاد يكر
سحاج العمومة .. ارات انها الحيزيون ؟ ..

ووقف عند المحطة التالية . لم يتخذ قرارا
 ما . وصلت عربة فصعد من الباب الأمامي دون
 أن يقرأ الرقم . انحسر بقوة حتى وجد مكانا
 قرب السائق . الحر ورائحة العرق والوجوه
 البليدة .. واحد .. اثنان .. ثلاثة .. أربعة
 .. غير الرابع وضعه وهو يصارع للاحتفاظ
 بمكانه . صرخ احدهم اذ داس على قدمه .
 بدأت مشادة تغيرت الوجوه وطلعت بالشراسة .
 صارت تشبه التوقيعات الثلاثين المقدسة على
 سطح الورقة . سوف تنشب الحرب الثالثة ..
 حرب الثلاثين .. وضحك . التفت إليه جواره
 بامعاض . بتر صحتكه خشيته أن يتحولوا اليه .
 استطاع أن يعد . سعى أن
 اكمل الثلاثين على الأقل . واحد .. اثنين ..
 .. خمسة .. الخامسة فانه
 .. من المدرسة يصحكي على
 .. اطفال بين اثلاثين . هل
 ترمي خصلودهم المتوردة ويعيذهن اللامعة ؟ ..
 .. في جمال غور سري .
 .. سبعة فانه يسد ..
 .. الحطة !!

واكتشف الجميع فجأة ان السائق التهر
فرصة المشاجرة (وأحرق) المحطات . انفجر
ضاحكا . ثم يؤنبه احد هذه المرة . انشغلوا
بالصباح ودق جدران العربة . ظلي بضحك ،
والسائق يندفع متجاهلا المحطات وصيحات
الاستنكار ، ينظر أمامه بلا اكتراث ، لا يحمل
وجهه الى غير . انى نمه في النفس . بل اى
شئود ! .. كما لو كانت الصيحات والشتائم
بطله . لو صباغ هذه السرعة وادفع بلا
بوصف . . . هكذا حتى ينتهى البزين او تحترق
العربة . كم ياسرنى وجهك . صلب قاس لامع
هادئ شجاع كوجه أحمر . أعطنى وجهك
يوما واحدا . . يوما فى حياتى أصبح فيه حاكما ،
ولتر ماذا سيحدث العالم . منظر طريف وانت

حين عادت الاغنية ، كان قد وصل الى كوريش النيل . اخذ يرددها بصوت مرتفع وهو يطلع براسه كجدوب يستحها مرة بصوت الاراجوز ومرة بطريقة مغى الأوبرا . ينتشى كل كيانه كلما تحولت الى مسخ خال من اى معنى . كان الكوريش خاليا ، الا من عربة أتوبيس تعرق من حين لآخر ، فيستلفت بكأه نظر ركابها . وقد يطاق بعضهم ضحكات ، عندئذ تصل نثرته الى منهاها فينمجر ضاحكا ، ثم أصبح يستهويه الضحك على اى شئ : رأى كابا يطل من نافذة سيارة فاخرة فانفجر ضاحكا . وخطر له أنه كان سيخطب اليوم نسرين فانفجر ضاحكا . وتخيل شرطيا يطارد ثلاثين لصا ، والصوص يجلبون ينطلقون الشرطي فيجرى فى الشارع عاريا مدعورا ...

وحين تعب من الضحك عاد الى الفناء بصوت نبح :

قولوا لعين الشمس ماتحماني
أحسن زوال البر صايح ماني
ونعم من الماء والبر
مقعد رخامي قرب محطة الاتوبيس
الرحام ان الساعة قد بعدت
عربة اشترفت من المنتظرين فؤاد كفاتها حتى
فاصوا على الابواب كالأمعاء
الطعام سيلتهمونها بعد قليل ؟ .. وعاد الى
الضحك . انبهوا اليه بدهشة : النساء خجلن
ان يماودن النظر ، فأخذن يتغامزن ضاحكات ،
والرجال كانوا اكثر جرأة ، فوصلت أذنه تعليقاتهم
سكرا . . . محزون . . .

وقدر أن يتمادي في الدور ، فقام يتمايل
ويضحك كالسكران متجها ناحيتهم . دب الهرح
واكتسبت النساء - عندما وصلت أول عربة
الاندفع الجميع إليها في دعر وهو لا يكف عن
الضحك ، حتى بعد أن مضت تاركة المحطة
مناوبة .

وعاد إلى السير . مرت على حدائه كل أنواع
الحصى والحجارة . تذكر جدته المجوز في القرية
كانت تقول . ان حصوة صغيرة تحت قدمك
قد تربك الكثر المكتوب لك . .
عسنا أيتها الجدة ، فلنر أين يختبئ كنزى

ترى اربعة الطيبة تتساقط امامك الواحد تلو الآخر ، وآتسالى الجميلات تشابكت اذرعتهن واطلقن الصرخات .. هيا يا ابن احمس فقد سم الدعر .. تسعة .. عشرة .. احدى عشر ..

- اومعه !

هها ! .. دقوا الجدران . دقوا كما يحلو لكم واطلقوا الصرخات . فماذا يضير لو غريم مجرى حياتكم . سوف يلتهمكم الدود فى كل الحالات .

واطلق المحصل عويلا طويلا من زمارته ..

وامى هناك فى آخر العربة تحمل طفلها على كتفها وتمايل . امى كانت فلاحه فعية وكانت تحملنى بنفس الطريقة قبل ان تموت . عملت ما عليها والتقتنى فى هذا العالم وذهبت . قالت كلمتها غير المقدسة وذهبت .

- المجنوز .. سيضيعنا !

احدى عشر .. اثنى عشر .. ثلاثة عشر

عويل متواصل من زماره المحصل .. ا ..

.. خمسة عشر .. ماذا حدث ..

انت تخشى المحصل ! .. سوف ندمه ..

فبك لو توقف .. هيا ..

والطريق واسع خال امامنا .. افعل شيئا يحمل اسمك ويحميك من الموت .. اسرع لا تكن جبان والا قتلتك .

وفى لمحة انقض على السائق من خلف ، فدومعه

بيسراه ، ويمناه تجذب عجلة القيادة بمنف حور

النيل . اندفعت العربة باقصى قوتها تختشق

السور . مازالت قبضته تضغط على العجلة .

وصفحة المياه تقترب بجنون . وقبل ان تلمسها

مقدمة العربة قفزت امامها عوامة ضخمة . شق

.. كان يقف فى شرفتها عجوز ابيض الشعر ..

وفى جزء من الف من الثانية ، او فى دهر بأكمله،

التقت عيونهما ، وفى اللحظة التالية كان يسمع

بوضوح صرخته . تهاوت يده عن عجلة القيادة .

الماء يندفع الى داخل العربة . الاجساد تتلاطم

وتتكلس بعضها فوق بعض ، وهو فى اسفلها

.. يفرص فى الماء .. يفوص .. بلا مقاومة .

.. فجأة احس بنفسه يسبح وسط الظلام،

ثم يطفو على السطح . لم يصدق الا حين ابتلع

كمية من الماء وهو يفتح فمه ليتنفس . بدا

يسبح ، فى كل لحظة تحول قواه ويوشك ان يعرق

.. رآى بعض الاشخاص يسبحون نحو الشاطئ

قواته قوة عاتية ، واخذ يضرب الماء . ويقترب

بسرعة . يدات يده تلمس الطين ، يحاول ان

يقبض عليه فينزلق من جديد .. قبضت يده

اخيرا على خصلة من الحشائش . استمات عليها ،

سحب جسده بصعوبة من الماء . غاب لحظات ..

وفتح عينيه على وهج الشمس .. كان مستلقيا

على ظهره فوق نتوء بطن الجسر . زحف الى

ادلى الشاطئ . كان هناك بعض الركاب ممن

استطاعوا النجاة ، والعربة مغروسة اسفل

الجسر ، لم يبق منها على سطح الماء غير الجزء

.. من بوابدها وبجرحون .

.. من ينهض مقاوما الانهيار . كانت انصرح

الاسنة من العربة تخترقه . وفجأة شدد صدره

.. يد درعها بالطفل .. ذرب

.. فى الماء . فى الماء . بسبب حماية

.. ول طفل . تصاعبت قواه

.. ساطىء بدراع واحدة ، وحى

وصلى كان بعض المارة قد تجمعوا . هداوا ايديهم

اليه وتلقفوا الطفل . لم يجرؤ احدهم على اسرول .

عاد الى الام فلم يجدها . كانت النافذة مكس

بالركاب ، يمدون اذرعهم ويصرخون ، ولم يجدها

القت سيدة بنفسها اليه وتشبثت به . انقذها وعاد

ليبحث عن الام .. لم يجدها . وفى كل مرة يعود

كان ينهشه القلق وهو يبحث عنها فلا يجدها ،

بل يجد بين ذراعيه شخصا آخر ، يذهب به

ويعود على امل ان يجدها .. ولكن بلا جدوى .

وحتى بعد ان خارت قواه تماما ، ووصلت المطاي

كان يصر على السباحة والبحث عنها ، ولم يكف

الا حين غاب تماما عن الوعي .

.. كل شيء ابيض منذ فتح عينيه :

الغرائش .. الحدرد .. اساس .. حتى هو

نفسه يرتدى الابيض . وثب الالم فده فى رأسه

وفى كل جسمه .



— أرجوكم • يكفى ذلك الآن •

— حسنا •• سؤال أخير •• ما هو تعريف البطل

عندك ؟

— أرجوكم • أريد أن استريح •

تدخل الشرطى فى الأمر • وبعد لحظات كان الهدوء يتيم
على العنبر • لكن اللحن كان قد هرب وفشلت محاولته
لاسترجاعه •

أتوا اليه بملابس جديدة ، وبكمية ضخمة من الطعام •
أكل بشهية ، وارتدى ملابسه ، أعطوه منظورا به عدة جنيهات
وضمعا فى جيبه دون أن يعدها • تذكر قرار النقل الذى كان
فى جيب بنطلونه القديم ، فراودته الرغبة فى أن يضحك •

وعند خروجه ودعه الجميع بحارة كأنه صديق قديم •

— ٤ —

اندس بين الحشد المتجمع على الكورنيش تحت الأضواء
الكاشفة • اللنشات الضخمة ترفع المربة من قاع النهر •
تبدو الآن وهى معلقة فى الهواء كهيكال عظمى لجيوان منقرض •
القوارب والفواصون يجوبون النهر بلا توقف •

سجتم من فوق حصة الخيل •
وسكن بعض حاي مرسب •
حين وآخر صرخة متعانة من مكلفم •
على حبه حذبه •

يزاحم الواقفين حتى يصل إلى المقدمة •
شيء بوضوح : فوق سور الكورنيش وأسفله وعلى الرصيف
يجلس عشرات من أهل الفرقى جميعهم يرتدون السواد • جاره
يقول انهم يجلسون هكذا منذ عدة ساعات • تنتابه الدهشة
من كل هذا الاهتمام بأخراج الجثث • فماداموا سيدقنونها مرة
أخرى اليس النيل أنظف من التراب ؟

هناك قارب يدنو من الشاطئ • يحمل عددا جديدا من
الجثث • كل الجالسين ينهضون • ويشرب بأعناقهم كل
الواقفين فى الحلف وهم يزحفون الى الأمام • الحر والقبار
والترقب تخنق الأنفاس • والسكون المخيم ينفذ بعاصفة
رهيبة • القارب الصغير يدنو بطيئا وحيدا من الشاطئ •
تتركز عليه عشرات الكشافات •• بقعة صغيرة مضيئة • على
بساط أسود ساكن • بكى طفل فى مكان ما فانطلق أكثر من
صوت يخرسه • عادت الأغنية تنسلل الى وعيه فى إيقاع
جنازى • لأول مرة أحس بالخوف • الواقف بجواره سماع
عجوز بملابسه الصفراء • يلهث بصوت مسموع ووجهه فى
لون سترته • وفى خطوطه الفاترة تتسرب قطرات غزيرة من
المرق • الفواصون العراة تلمع أجسادهم فى وهج الضوء •

القارب يرسو على الشاطئ ، يتجمع حوله عدة رجال يرفعون منه الجثث . وقال رجل على يساره : هل ترى شعورهن المسترسل ؟ .. صاح فيه أحدهم أن يصمت . كان من أنسهل سماع دقات القلوب . الرجال يصعدون نابثث في بطنه قابل ليس يمكننا رؤيتها بوضوح من خلال أجسامهم . يضعونها الآن على الأرض ويتراجعون .. كانت لأربع فتيات إلباس المدرسة ، تلاحمت أجسادهن حتى صارت كتلة واحدة . اتسقت شيء بصدره ، قبل أن ينشق السكون بصرخة امرأة . وهي تندفع الى الجثث الملقاة تحت الأغواء ، وانطلقت في أثرها عدة نساء ، وبدأت عاصفة غائية من العويل .

نكس رأسه وهو يتراجع ، بينما الجميع يندفعون الى الأمام ، يقذفون به في كل اتجاه كعوج متلاطم . وحين وجد نفسه في الخلاه أخيرا لم يجسر على النظر الى الخلف . مضى يترنح في ذهول ، وكلما فكر أن يقف ليحفظ توازنه أو يتدارك أنفاسه أحس أن أشباحا بطارده . رجعواود اندفاعه المتخبط .

منذ قليل كن يجاوره ، والسائق يتدفع بأعربة ... يتذكر الآن كل شيء ، متوهجة بالحرارة والضحك بذكره كيف كان بعضهم البعض حين بدا أن الهباء لا يصرح ، يتذكر كم كانت ضحكاتهن شابة ندية اشعلت قلبه ، يتذكر كم كن جميلات !

تهاول أخيرا على مسور الكورنيش ، أغمض عينيه وهال برأسه الثقيل الى الخلف . تزحف الأعمدة حارة من كل خلاياه ، تتجمع كجوش النمل ، حثيثة مخدرة ، تصاحبها أصوات العويل ...

قولوا لعين الشمس ماتحماش ...

أحسن غزال البر صابح ماشي ...

قولوا لعين الشمس ...

الصفحات الأولى لكل الصحف تحمل أسماء الكارثة ، وصورته في وسطها مقرونة بكلمة البطل وفي الداخل عشرات الأعمدة تحكي بإسهاب كل ما حدث ، كما لو أن الصحفيين كانوا داخل أتوبيس الموت بأنفسهم ، وقصص غريبة للضحايا والمآسي التي خلفوها ، ثم قصة حياته المليئة

بالبطولات والتضحيات ، وآخرها - قبل الحادث - تضعيته بوطيعته المستقرة في مدينته الهادئة لتسعمل في بناء مستقبل بلدة في أسوان . وفي سببه مر نصف عن سبب جروح السيارة الى النيل ، تضاربت فيه أقوال الحبراء والمهندسين والأساتذة حول ذلك السر .

طوى الصحيفة وسار ألياً في اتجاه مكان الحادث . كان النيل يسير في عكس اتجاهه ، ونيذا راسخا مطلقا عميق السكون ، له أقدام ثقيلة كحف الجمل ، مازال يشعر بثقلها على جسده وطعم الطين في حلقه حين وصل الى القاع . تحول عنه بصره مبتلنا بالرهبة . وأدعته أن يرى كل شيء .

لم يتغير عما كان بالأمس : الناس تروح وتجيء ورسول حياتها دون أكرات ، محطات الأتوبيس تمتلئ وتفرغ بلا نهاية . العربات بنفس ازدحامها . والراديو يلذع الأغاني الخفيفة .

وجذب بصره التجمع من بعيد . واقترب ، فصرى في كيانه رعشة ويمتلئ حلقه بطعم الطين . كان رحام أصناف ما كان في الليل ، ولم يعد ...

أحياها الخبراء مستغرقين في دراسة طبية ، وجولهم رحام أخف بعض الشيء . راح يراقبهم وهم الضمعدون ويهبطون والعرق يتصبب منهم فتتزلق النظارات الطبية السمكية على أنوفهم فلا يصابون بتثبيتها ، وتخفقهم الكرافات فيحاونها ، وترتفع أصواتهم في نقاش حاد ، وتزاحم الاصطلاحات الأجنبية في أنوفهم ، ويدرس سابع غير حذر العربة . وعرض

أسرعه من الشاهد والمرباب وسقف الحمار . ويرسبون صاعديه في حيرة ، ونصبه بالسترات أيضا فيلقون بها بعيدا ، وتحترق الجائر بين أصابعهم في لح الصر ، وتفرقع حوامهم الات التصوير وترف أسئلة الصحفيين وتدور كاميرات التلفزيون والسينما ، ويميل الباب السميك في أفواههم على جانب فتخرج الأحاديث والاستنتاجات في وقار .

وقطع استراقه معهم عويل صدر بالقرب منه حين أخرجوا جثة جديدة . تحول الى هناك ، رأى امرأة تلتطخ وجهها بالطين وقد شقت ملابسها ، تدور وسط الناس وتصرخ صرخات غير آدمية ،

وحديق يمدح ربه بعد لا يكون على جنة .
واملا جوفه وحلقه بالمياه اعطيه .
وعند سور الشاطئ المتهدم كان هناك عشرات
من أهل العائين ، يحملون في صفحة المياه
يعيون مدهولة ووجوههم الشاحبة تؤكد أنهم لم
يفروا وصعهم هذا منذ الأمس ، وصمت مشدوه
يكم كل شيء .

اخترق الزحام فلاح عجوز يعتمد على عصا
عليقة . كان يلهث ولا يستطيع أن يطق بحيلة
كاملة من الانفعال والتعب . ولم يحفل به أحد .
نظر به بعضهم بضرب عذره ثم عادوا إلى
اعتمده في صفحة نمل . استنقح ب حصى من
بين صمغاته كمن يمشي على رمال .

عاص داخل نفسه وهو سرح . وجهه شح
في سره العوامه اراسه اسفل حصر العجوز
الاشيب الذي رآه لحظة موت العربية في الماء .
صابه دعر مباحث ، ودس نفسه بلغائيا بين
الزحام ، وابعد مهولا وهو لا يجرؤ على النظر
خلفه .

وفي مكان بعيد على الكورنيش - حبيبه لا
يمكنه أن يرى أحدا أو يراه أحد - وقف صبح
وجهه المني بالتراب والعرق .
اسس سراحه ليل .
... وأنت يا أمي ... أين هو صبحك ؟ ...

في المساء عاد متلصصا ، وبظرة مثيب على
شرفة العوامة المطلية . دار دورته كاملة حول
المكان من بعيد متذعرا بالظلمة دون أن يجرؤ على
الاقتراب ، وفي يده جريدة مسائية تحمل عناوينها
الرئيسية أنباء الحادث وقصصا جديدة لماسي
الصحايا وتؤكد عجز الجبراء عن الوصول إلى سر
الحادث . كان الزحام قد خف بدرجة كبيرة ،
لكن الجالسين يحملون في صفحة المياه لم
ينقصوا ولم يتغير فيهم شيء ، والضوء والظل
لقويان يحيلانهم إلى تماثيل حجرية عمرها آلاف
من السنين ، والصمت صار أهدأ وأكثر ألما .
ظل ساعة يراقب عمليات الفواصين دون أن
يجرؤا خلالها بشيء . اقترب في تردد ، أصبح
نوسعه الآن أن يقف وسط المنتظرين ويحملق
مثلهم في صفحة المياه الداكنة . سمع بالقرب
منه حشرجة خافتة . التفت بدعشة ، فمن ذا
الذي يجرؤ على انتهاك الصمت ؟ وجد الفلاح

العجوز جالسا العرصاء معتمدا على عصاه اعطيلة
يهمهم بكلمات عامضة . كان غريبا أنه لم يتحول
بعد إلى جالس رحس . ثم قال :
عجوز نحس بيده فيهما أي بعير . حصر صمغ
فجوز . لا تقاصيل ، غير شرطين صغيرين
محمرتي الخواف لا تقويان على أن تمنعنا في
الضوء القوي ، فهذه الصبح المتهدل يرتعد بلا
وقوف ، كما تتحرك شعته أيضا بلا توقف ،
ووجهه ثابت في اتجاه معين ، كأنه يتحدث إلى
شخص ما أمامه ، ويده السمرراوان الكبيران
يعتمد عليهما برأسه حيناً ، وحيناً تتحركان
بالمصا ليبتكت التراب .

هم بأن يتحدث إليه ، وقبل أن ينقل قدمه
اشتعل النور فجأة خلف زجاج العوامه ، تسمر
بصره عليها وهو يحس بجوها مع الحواف بعقد
هائل . تمنى لو أن العربية اصطدمت بها لتفرق
مهما ويستهي كل شيء .

أخذ يقترب بلا إرادة من العوامه ، يشمر
سمرراويا بأن يصبره مرتبط بصبرها . استند
على بيور في مواجعتها تماما . التقط من الارض
حجر صغيرا وهو يطحن أسنانه في صراوه .
... أنها العجوز . لماذا لا تعلق الحليفة بعد
... في ...
... ماذا تريد مني ؟ ...
... في ...

استهي كل شيء . كل شيء .
وسقط الحجر من يده ، كما سقط فوق صدره
رأسه الثقيل .

- ٥ -

صباح اليوم الثالث . والكورنيش .
والعناوين الضخمة في الصحف تعلن وصول
الخبراء إلى سر الكارثة . راح يلتهم السطور في
لهفة ، متوقفا أن يقرأ اسمه أو اسم العجوز .
تبين أن السر هو أن السائق لم يكن في تمام وعيه
لحظة الحادث - ربما كان سكرانا أو مسطولا -
وفوجيء بمطرب فلم يستطع التحكم في عجلة
القيادة ، وبهذا يتحمل المسؤولية وحده . رغم
موته .

التقى بالصحف في النيل ، بلا رغبة في الإبتسام .
الحضباب يصنع فوق النيل خيمة هائلة . لم
يستطع أن يرى مكان الحادث الا حين شاهد عددا
من الحداد السوداء تحوم في الغضاء من فوقه .

احترق ببصره الضباب نحو العوامة ، بدت جسما هائما
غير محدد المعالم معلقا في الفراغ الصبايى ، مقلق النوافذ
كقصر مسحور .

فى الليل اتخذ القرار ، اليوم لابد أن يقادر القاهرة على
أى وضع ، لكن بعد أن ينهى كل شئ بينه وبين العجوز ، ولو
لزم الامر فليقتله أو يقتل نفسه .

انقضت حدة على سطح الماء كأنها تخطف شيئا ثم عادت
للتحليق ، وفجأة تذكر الحجر الصغير الذى هوى فى الليل
حين قدوه بقدمه فى 'اليوم الأول' . حك ذهنه النامية بعصية ،
ممثلنا بالعجر ، وبالكراهية لكل شئ .

بعد عزمه فى مكتبه يسحب نفسه عبر سبيل
الانظار فوق السور يحملق ببلاهة فى صفحة المياه ، لكنه
حين تمنع قليلا وجد أنها ليست نفس الوجوه التى كانت هنا
من قبل . يبحث بينهم عن الفلاح المعجوز فلم يجده ، فراح
يتفرس فى كل الوجوه ويفتش فى كل مكان فى المنطقة وملاء
شعور بالتماسه . وفجأة رأى طرف العصا العليقة ذات
الندوب ، تطل من خلف شجرة ضخمة على الكورنيش ، حيث
وجد المعجوز مكوما تحتها ، يدفن رأسه بين ركبتيه ويحكم
حناجره ذراعيه مستغرقا فى النوم . فاض صدره بالقبطة وهم
التيه على ما حدث فى اللحظة الأخيرة وتراجع

م بعد ... إلى ... ذهب ... عرج ...
...
...
العجوز يراقبه . أخذ ذهنه يعمل بسرعة كاملة . أعرف
أننى لن أنكر . لن أنكر لحظة واحدة لو واجهنى بالحقيقة .
استعرض كل الاحتمالات التى ستترب على اعترافه ، ووضح
أمامها الاحتمالات التى ستترب على قتل المعجوز .

وخطا نحو السلم الهابط الى العوامة فى تصميم . تدوى
فى أذنيه دقات قلبه . راح يتلفت حوله فى حذر . لم يكن هناك
أحد بالقرب منه . هبط أول درجة وعاد يطر خلفه ، وفجأة
وقع بصره على الفلاح المعجوز تحت الشجرة . كان ما يزال
مستغرقا فى النوم إلا أن الشمس كانت قد أغرقته . صعد
ثانية وهو يلهت ومسح عن جبينه حبات من العرق البارد .
لم يلم به أى شعور بالخوف ، فقط كان مفعما بالعار .

- ٦ -

اتسعت عينا الضابط الشاب وهو يحملق فيه ، وايتسم
بعصية .

- أنت تمزح بالتأكيد يا سيد صبحي .
دى المكتب بفضب





- لم أجيء لأمرح معك - جئت لأعترف بالحقيقة .

بهض الضابط وقد امتلأت عيناه بالرعب .

- ركن - عد - مسجس - أنا لا أصدق .

- لا - مني ن تصدق أو لا تصدق - - يعني أن يكتب ما قلته في الورق الذي أمامك .

خرج الضابط من خلف مكتبه ودس يديه في البسطون وأخذ يدرع الحجرة مطرقاً . ثم واجهه فجأة :

- هل تعرف ما معنى ذلك ؟

- أرجوك - - أنا متعب - - هل ستكتب أم لا ؟

لكم الضابط كفه بقبضته الأخرى واتجه نحو التليفون أحد يتحدث بشأنه لططات مع شخص ما ثم وضع السماعة في يأس وهو يهز رأسه وراح يسجل كل ما قاله .

وفي عربة الشرطة التي رأسه إلى الخلف وأغمض عينيه بارتياح : وأفاق حين توقفت العربة . توصلت في الشمس الأزرار النحاسية في ملابس الجنود الذين يرافقونه . ادخلوه حجرة واسعة ، في صدرها رجل ضئيل الحجم خلف مكتب هائل .

- عصف استروح يا سيد صبحي .

وعرف أنها النيابة .

وبدأ محذره من نوع - - - - -

في من هذه المواقف - - - - -
كسكته . من اعصاب اعصاب - - - - -
سعدته عن الموضوع - - - - -
جيوهه ، والانقضاء المفاجيء عليه سؤال مباشر ، بينما يحلم باسمه الذي سينشر في الصحف غدا - - أثناء كل هذا كانت تتنابذ الرغبة في الضحك عليه ، لكنه كان مليئاً بالسأم .

وأخيراً أطلق المحقق تنهيدة اليأس ورفق السماعة وراح يتحدث هامساً إلى شخص ما .

وعادوا به إلى عربة الشرطة ، لكنه لم يغمض عينيه حين انطلقت به ، لقد تنبأ لنفسه بالتعاب ، وعندما توقفت العربة أمام المستشفى مرق في ذهنه فجأة ما يريدونه ، فصاح في عصب .

- أنا لست مجنوناً - - لست مجنوناً .

وشملت محاولاتهم لاقناعه بالنزول ، فدفعوه عنوة إلى المستشفى ، وقادوه إلى الطابق العلوي ، ووجد الجميع في انتظاره ، يملأ عيونهم الفضول والبهجة وهم يعدون الكلام الذي سيقسمون عليه لأصدقائهم وذويهم مؤكدين أنهم رأوه يعيش هذه !

وفي حجرة هادئة اجلسوه ، وأمر الطبيب الجميع بالخروج ، وعادت الاسئلة وبدأ الكشف ، أحس بالراحة للمس الاجهزة المعدنية الباردة اللامعة على جسده ، مصحوبة بتلك الراحة المميزة لحجرة العمليات . كان رأسه يلتهب ويشعر بخوف غامض ، لكنه حقيقي . كان هناك أكثر من طبيب يتحدثون بالانجليزية ويتبادلون الاصطلاحات اللاتينية ، ثم يدونون الملاحظات .

وانتهى الكشف بعد ساعة . . . كانت أطول ساعة قضتها في عمره - وسار معهم الى الحجرة التي خصصوها له ، وإبتسامات الممرضات ترف من حوله . وتجاوزت احداهن قدّمت اليه « اتوجراف » ليوقع عليه .

« من كان في شجرة عائلتي شخصية عامة ؟ »
« ها قد أنمرت شجرة الصمصاف ! ولقد قالت حدى ان الحظ ينتظرني في قاع النيل . حسنا . هل سمعت جدتي عن « اتوجراف » ؟ »
« والعجوز رابض مازال في العوامة . يسمى نفسه بمجدد رائف ، وتسرين لم يكن في بيبي - الممرضة . وكانت عجيبة ، لكني لم أهتم امرياً . »
والآن ترى اسمي . وصورتي في الصحف . وسر سمع . . . احدى . . . بيبي
الابيض فانا الآن شخصية عامة . وعدا . . .
الصحف أسقط اعرض .

ويجتمع المحللون والعلماء ، ويجدد الصحفيون والقراء مادة مثيرة ، ويأتى الناس من كل صوب وفي ايديهم النذور ، ونائين بالبخور وتطلقين . . . ولن أراك .

« والشمس القارية تتسائل ، والأغنية تتسلل مع الظلام الزاحف ، وتملؤني بالرعب ، والعيون وضعوها حولي في كل مكان ، وأنا أعرف حطتهم اللثيمة في دفعي الى الجنون . وقد نشرت الصحيفة المسائية قعلا نيا جنوبي . والأشجار السوداء على صفحة السماء الحمراء تذكركم بالحدآت السود وتدعوني . ومن نافذة الحجرة أرى العالم غربيا كما لم أراه في حياتي ، صامتا متربصا توسوس فيه أشياء مريبة ، وتأتيني الممرضة البيضاء بهيجان شأى فأرى في عينيها وإبتسامتها

خيوط مؤامرة . وبحار حائق كثيف يتصاعد من كل ما حولي ، بل من جوفي ، ليحاصرني ويسد على المسالك . وأن أموت مجرما خير من أن أموت مجنونا . والعجوز . . ما زال هناك رابضا مطمئنا في عوامته ، وانفا كما لو كان النقطة نفسها ، كما لو كان قد قرأ في الكتاب أنى قادم اليه والعجوز الربيى الآخر جائم أمام العوامة كحارس المقبرة ، ينشئ التراب بعصاه . وأنى لم تشأ أن تأخذ معها الطفل فقذفته الى وهي تعرف أننى لن أعود اليها . والسنة رمادية في الشفق الأحمر تتقاطع مع الشجر الرفيع الأسود . وضحكة العجوز الخنفاء . . وأنا قادم! . . . قادم ! . . .

وغادر الحجرة في غيشة المساء ونزل متلصصا . وفي حديقة المستشفى قابلة ممرس فقال له أنه فقط يشمس الهواء . وقرب البوابة ظل دقائق يراقب البواب حتى دخل حجرته الصغيرة ، هناك تستشعري دون أن يلتفت ناحيته . ووجد نفسه مره أخرى على الكورتيش . وإبتسم له
طوال هذا اليوم بعد أن غادره . ومع اقترابه
في صدره
حدث
كانت رابضة كعهده بها . وحظر له أن كل ذلك قد حدث له من قبل ، ونفس هذه الدهشة أصابته ، ربما منذ عام وربما منذ ألف عام .
ويومها ظن أيضا أنه أخطأ المكان لكن عوامة العجوز إبتسمت له ساخرة . استندت الى الشجرة التي كان يرقد تحتها الفلاح في الصباح وظل ينظر الى النيل الذي انطلقا خده تماما ، وثمة تحعدات غامضة على وجهه يكشفها ضوء الصباح البعيد ، فصار شبيها بوجه الفلاح العجوز . وطاق به هاتف بأنه سوف يرى الفلاح الآن ، سوف يبعث له من مكان ما ، وظل يحبس أنفاسه في انتظاره وفجأة أطل من بطن الجسر شيخ سود حتى استقام . ظل أنه

- بل تعهم كل شيء وتصبر على تعديبي .. ماذا تريد مني ؟ .. هه ؟ لقد حثك بنفسى أحنو على ركبتي نحت أقدامك .. ألا يكفيك هذا ؟

غاص العجوز فى كرسية وقد تهدل فكه ..

- لماذا تصر على الصمت ؟ .. تريد أن تبتلعى بعيش خبث من آخرى من السنين .. لكننى لن أسمح لك بإبتلاعى النمل نفسه لم يستطع ابتلاعى .. وعندما أموت فلن أموت إلا لأننى أريد أن أموت لا لأنك أو غيرك حكمت على به .. وقد كانت هذه هى الفلطة التى انساق إليها سائق العربى كما انسافت إليها نسرين .. فكل الناس تستطيع أن تحقد أو تحب .. لكن هذا لا يعطيهم الحق فى أن يصدروا حكما على الآخرين .. وقد وقعت أنا أيضا فى نفس الفلطة حينما بهرنى وجه أحسن وهو يقود عربته الحربية .. مستمدا إصراره من غر نسرين ..

وتوقف عن الصياح وهو يلهث ، وكانت أصابع يده راجع فى غراج مسنحة ورجل العجوز شاحب قديم وانتهى صمت ، صمت منحوت مصمت ، من ذلك النوع الذى اخت أصابعه ، وتهاوت يده إلى جانبه ، العجوز ، الذى أطيقت شفاهه بخلق من النسيان الإبهام ، وانتابه شعور بأنه أمام

- حسا .. سوف أحكى لك كل شيء .. لعلك تتذكر رجلى ..

وبدأت قطرات الكلام تتسحدر ، على مسارب تمثال الصمت . وكان لا يحول نظره عن عيني الاله الراضى خشية غضبه . وقال فى نفسه انه لم يكن تقيا صادقا وهو يتحدث كما هو الآن . وقال أيضا أنه تعود أن يبذل مجهودا ضخما عندما يتحدث حتى يفهمه الآخرون ، لكنه الآن يتحدث كما لو كان يرش جسده بالماء المقدس . ثم قال ان هذا اله عجوز وطيب وسوف يغفر لى إهانتى ، ذلك لأنى كنت دائما أعرفه ، حتى قبل أن أولد . وعندما التقت عيناي بعينيك لحظة هوت العرة فى الماء ، قلت وماذا نوسعى أن أفعل وأنت تعرف من قديم أن كل ذلك سوف يحدث . وقلت أيضا ربما اخترتتى بالذات لأقوم بهذا العمل لحكمة عميقة فى نفسك ، لهذا فلن تتخل عني أبدا . وعاندا أخيرا بين يديك ، راض بحكمك ، فانت



كأن العجور يطل عليه بعينين جامدتين ، النعت حول
محجرجيما دوائر التعب • يسترجي يائسا مهتما كفتاة قصت
بكاربها عتوة ، وهمس في أعياء .

— أيها الكذاب !

ثم انتقص واقعا فجأة وواجهه :

— والآن •• ماذا تريد مني ؟

رُكع صبيحي اليه من أسفل عيني نووسلانا بطلب
الرحمة ، وامتتم

— فقط أن تعلن الحقيقة •

— وبعد ذلك ؟

— سأموت •

— حسنا •• انهض •• انهض أنا أمرك •• نعد معا

•• هذه هي النافذة •• وهذا هو النيل •• والآن •• الق

بنفسك •• لقد أمرتك !

نظر صبيحي الى الوجه الأسود الذي يلعب بشطعات من
الصبر المتناثر من العوامة ، وملا الرعب قلبه • تراجع مبتعدا
عن النافذة وهو يتمتم :

•• سستبع ••

فترى منه عجور ••

•• صبر ••

الى الأبد •• والآن •• حر •• أريد أن أخرج ••
أبدا ••

واندفع تجاه باب العوامة وفتح ، كالتربّكة تشبهي
بخوف مزوَج بالتوسل :

— أريد أن أعرف شيئا واحدا •• ألسنت أنت الذي ••

— قمت لك أخرج •• أخرج !

واهتز مشى العوامة تحت قدمي صبيحي ، والضوء
من خلفه يلقي بظله أمامه فيراقص فوق السلالم الصاعدة
نحو جوف الظلمة ، ثم صفع المعجوز الباب بعنف فأطبق الظلام
على كل شيء •

مضى يتخبط على الكونيش • كان رأسه مشحونا
طاقة مدعرة من الكهرباء ، طاقة أحس أن بإمكانها أن تدير
مصنعا بأكمله • ولم يكن رأسه الذي يشبه لمبة كهريا
صغيرة ليثحمل كل هذا الضغط • وفجأة رأى اللبنة تنعرج
في دوي خاطف ، وهي تطلق شعاعا باهرا هلك الظلام •
صاح صيحة نشوة ، وهو يشعر بأنه يمتلك قوة الانبياء •
وفرّد ذراعيه وراح يدور حول نفسه مطلقا صيحات الزهو

— اقبلوا يا رجال الصحافة •• اقبلوا يا أشباح
النهر •• سأبينكم بما كان وما سوف يكون ••



قصة
المرأة
المعتمة

[illegible]

الشمه ممتنة .. رأيت العنة هابطة من تحت جناح
خفاش يحترق .. ولما أبت أن تستكن على صلبان الصفيح ..
هجرت أقدامى في برد انتفاضها القلقة .. ونصبت في
الأركان خيوطا عنكبوتية .. تشابكت وتداحلت وانجدلت ،
حول الصنم جديدة ملحق شطريه على حواء ناله .. وحول
أعنى جديدته تشتد ، وتديهبه فطرات من الاحتشاق نغمته
الاحساس بأن له بقية تمتد الى حيث أقف .. ولم يكن بالمكان
كله مصباح غير مصباح دفعت بأعواج الضوء .. عليها تجد بين
صخور العنة منفدا الى سجنى .. وددت أن أنزع الستائر ..
وأن أرفع المزاليج والبسط .. كم هي بغيفضة مصللة ؟ ..
النور صريح .. والظلام صريح .. كلاهما ذو مقياس جلي
علائق .. مموس اخم واضع .. لا كرههما جمعتهما
سحر وصنع دراج .. ثم لم يدعهما إلا العنة .. تركيب
دوسى نصب محبوه وأصب مصباح ، نسيم ومصباح اطلح
.. ولم أطلع في أكثر من هذا .. عادت يدى تتحرك بالموسى
على ذقنى بتفسي الرتابة .. وعادت نقطة أخرى من الدم تتجمع
بمكان الحُدش حيثما بحث أصبعى .. وضغطت عليها لأعيدها



مصطفى
أبو بكر عبد الظاهر

الى شراييني .. خفت عليها من نقاط الماء .. لو ضاعت من
نقاط من دماء الآخرين لهان الأمر .. وبلزوجة خبيثة رافضه
سالت نقطة الدم على أصبعي .. وضاعت بينه وبين خدي
الجريرج .

صوت الليل يتكسر على حواف نوافدي .. وأنفاس
شارعنا الممتد الى منابت الشعر في راس المدينة .. الى حيث
يصب في البحر الاخضر شحمة ملونة من غبار الغابة ذات
الآلاف مدخنة - تموت رهيفة في معبرتي .. ولا أسمع من
أعماسه الا أنفاسي .. ولا أحس من صوته المكسور الا صغتي
ومن ثقب الصمت .. تسرب الى خياشيمي عطر زوجتي ..
لكه بالتأكيد ليس هو .. انما هو الطفل فقط .. أجزم ان
عطر الورد لا يبقى حيث عابت الورد كاد العطر أن ينسيني
.. ابعدت نظري الى وجهها الباهت الميت يحدث في ..
وعيونها المركرة على وجهي يحملني فيه باصرار من خلف الستار
الزجاجي للإطار المصنوب خلفي مثل نافذة للابايسة ..
لا تسمح لأي هواء غير هوائها ان يزورنا .. ملينا بالفصوص
النابع من هاتين البثرين الشديدي العور والسيود ..
واضطربت لمباغلة التلصص .. وللمصادم أنهم من مد ..
التدبيرين أي معنى .. ولم أستطع تكوين حكم بطلع .. ومع
غموض نظراتها .. ورائحة عطر يدعي .. شمت رائحة
غير محذرة حسن مسم
بحلقات الضوء .. وينفصلها خلف هلال .. وبهذه
ذكرت رائحة الظهيرة في اليوم الاخير من الشهر الماضي ..
نعم .. وبكل تفاصيلها .. وذكرك بها ان كنت قد نسيت .

عندما ذبا انت وأنا في كتلة اللحم للركاب الآخرين ..
والعجلات بلصق بأسفل الطريق المصهر في لزوجة ساخنة
كنتك التي تلف جسدينا .. والعيون محمرة .. متحجرة ..
تتكسر تحت أسوار جفونها قبل أن تنكسر على جدران العربة
.. ويعمو الرهوس شعر مبتل .. وقطرات داكنة من العرق
تندرج على الاقمية .. مختلطة بالغبار والوسخ .. ولما أن
ارتد زفير مطرود من اللامكان الباقي في الحير الصيق تحت
السقف حنقتي رائحة العرق وعطرك .. والانفاس المرحومة
ومع كل اهتزازة تتماوج كتلة اللحم .. ثم تتمزق .. وتعود
الى التحامها من جديد .. ولم أجد صوتك في آذان المفلاة ..
وأصوات الفضب تننات حول اكتافا وتسقط على كومة
المشاحات المتزايدة .. مع كل لعنة أو حركة من قدم ..
وأنت صامتة .. حتى سحابة التساقف السريمة التي عبرت
وجهك .. أحفيتها تحت طلائك .. ليتك سكبت في أذني
قطره واحدة من الاحتجاج ؟ .. قطرة واحدة .. كانت تحمل





.. وترارها .. وجسدها .. أصبحت كلها عادة
 .. ذهني لان نقطة رائعة اللعان عن شيء
 .. ذهني .. ذنر .. فسب
 .. راحة سي ذات مرة ... خلال لحظة من لحظات
 .. سي لم تم تلك الليلة .. وبس
 .. سي .. ذنر .. سر ..
 .. بحرق حجبا أدوع من أن يراها
 .. ذهني .. وبصت يدي على جوهر اسر
 .. العظيم في وجود الاسبان ... وظل مكان القبة
 .. يمدني بالدفع لوقت لا اذكر مداه .. ثم ..
 .. ثم لا شيء بعد .. حطمت التفاهات ابويمه
 .. محراب العداسة الذي بناه كل منا للآخر ...
 .. كما تسرب طوفان اللهفة في قنواب النعود
 .. والمعاشرة يوما بعد يوم ... صرنا مجرد شركاء
 .. في شركة ما .. يحكمها نوع غريب من النوميس
 .. الجبهة .. ولم اجد غير الجسد احطه ...
 .. وانحطم معه .. واحط عليه كل احمالي ...
 .. بلا انفاظ .. وسحبنا على اعسنا قطاء من
 .. فتور ..

فتور ... فتور ... وعتمة ... الدقات
 رتيبة ... لحوحة ... لو امكنتني ايقافها ...
 لكن ما جدوى أن اوقف دقات الساعة فقط
 دون دقات الزمن ... ؟ .. وحتى دقات الساعة
 نفسها .. لن تتوقف الآن إلا اذا حطمت الساعة
 كلها .. ليتني املك القدرة على التوبيد ..

تناوله الآن .. وقبل أن يحدد مي ذهني حل
 بعينه .. فتحت الباب .. وناديت الباب ..
 عادت يدي تحرك الموسى ... وعادت حلقات
 الضوء على المرآة تتكور وتتلأشى ومعها
 تكوّن خيالات لنساء بلا معالم .. وخرجن من
 داخل الحلقات في شبابك ناهت مزدحم ..
 يصيبني بالاشمئزاز .. وامعت التحديق
 نسفت أنني لم أعد أعني من ملامحهن الا مسحة
 ... ولا اود أن اذكر اسماءهن يتاتا .. عبرن
 ايامي وحيوي بلا اقدام اخذن في الظهور
 والتواري تباعا خلف المرآة ... الا واحدة ..
 تصدرت بوضوح ... كانت تكبرني بقدر وأمر
 من العمر .. وعاشرتها معاشرة الموتى لا يام
 معطولة عجفاء ... ولم يستطع روجها أن يمد
 يده ليوقف النزف ... وكان ثمة احساس دائم
 بالفرف يتمكني حياله واحيانا بالرهاء ... أطلق
 على شريف آنثد « مدير البنك » .. بعد أن
 ضربت حولي سياجا سامقا من نرائها العاجنة
 .. و سمعت حوارتين «ذهب في مسير
 الاموات .. هددتني باشعل النار في جسدي
 اذا تزوجت ... ولما كنت على بين من أن حوقا
 لا يضحك الا الكذب ...
 يدبها كل ما احوز من السر ..
 ساعتها شقت نظراتها طربعا بهجه رشيق البـ

الكنية ..
 مصدب في وجهه ... حرجب من ...
 .. ومن حياتي ... لم اكن انصور أن الرجوع
 الى هذا الدرب صعب الى هذا الحد ... منذ
 أن دعاني شريف .. وأنا متردد ... (كان
 الأجدر بي الا اخاف من أن أقول خائف بدلا من
 متردد) .. وفكرت كثيرا في الانسحاب ..
 استحال على أن اتخيل نفسي ممتزجا بأحضان
 امرأة غريبة عرفت أن المانع من الخ
 سوري الدخ ... مع حكمة العادة بعد
 وصيعة كبريه .. بس حدي من روح
 العوي ... وس ... سحط حمة

وليس ترفعا عن خدش الذوق العام ... أو
 قواعد الاخلاق .. كما يدعون .. الآن تبسب
 أن سلطان العادة .. هو مائي الوحيد .. بردت
 العواطف الساخنة منذ ومن .. بل أقول تجمدت
 .. اتحذت هي الاخرى مجرى العادة .. وكل
 زوجتي لم يعد لي فيها غير النعود .. عطرها

حطيم .. عريبة هذه العنمة التي ترحم الشقة
 .. وتزحمى لا أدري لم كلفت البواب أن يحضر
 العشاء ولدى مخزون الطعام يكفي لا طعام
 نصف شاعرنا ... ثم اننى جائع .. لكن
 معدني تملؤها برودة صلبة ... العيون الفاصمة
 مسلطة على قفازي .. تلتسهه ... وتصطادني
 كلما مرت عيني في لفنة عفوية بأعلى المرأة جف
 الصابون على ذقني وبكلس .. ككل شيء بداخلي
 .. وككل شيء تلمسه يدي التي استعربت من
 أن لمست بها الوجه الخفى لكل ما حولي ...
 سألت على خدي موجات خفيفة من الدغدغة
 .. والخدر الناعم من شعره الفرشاة .. وأنا
 أكرر عملية التصبين .. غاصت خيالات النساء
 في أعماق بعيدة داخل المرأة .. وحلقات تلوها
 حلقات ... والدوائر تنفتحت مع رقابة الدقات
 ... وكل تلاش يتلوه تكوي جديد .. باستمرار
 .. باستمرار .. لا شيء يتوقف .. ويتسلل
 عطر زوجتي بين رائحة المطبخ وعفونة السلم
 وبقعه جديد من آدم بد
 .. ويتسللون الى كيانى بالرغم منى
 .. وهبوب رادى حس

الوعى قدرة على الرفض أو الإحساس
 الكل .. ويقهري هو أكثر ..
 ..
 تشبه عيون زوجتي .. وارى بين إنسانه
 وعيونها شيئاً ما .. خيطاً ما .. يوم أن وضعت
 الدبلة حول أصبعها لم يكن في تصوري وجود
 لمثل هذه الابتسامة التي تقتحم رأسى عنوة ..
 ثم .. ثم تجرح كرامتى وحيالى ... لم أكن
 أعرفه .. ولا عرفت ذلك الشرخ بين شعب ..
 .. كأذرع ثلجية تطبق على عنقى .. وتمتد
 .. وتمتد حتى تفرقى في بحر الثلج .. وتدفعنى
 في تحد وثيد حازم في مكان بصدرى .. واحتمل
 قدر استطاعتي .. ثم لا يسعنى إلا أن أقاوم
 فيضيع جهدى فوق كتل ألوه المثلجية ..
 وبعد كل ابتسامة تصبيني .. انتزع قلبى وقد
 انضجه الشواء .. وألقيه بعيداً .. لكن تبقى
 مكانه فجسوة باردة يغلظ دخانها ويتكاثف
 حتى يحجب عني الرؤيا .. ويلغنى في الدوار
 .. ويدوس أنفى بحداله الارستقراطي اللامع
 .. مع كل خطوة يخطوها داخل بيتى ..

واقطع من لحمى ترحيبة .. أحاول أن أجعلها
 حارة .. أو طيبعة .. وأقدمها له ولزوجته
 .. واسحق .. وتشتع عيون زوجتي بالبريق
 العامض .. وينششق وجهه عن ابتسامته
 الجارحة .. ويتوارى وجه زوجته طبع قناع
 من الجمود القبي .. واسحق .. وأحاول أن
 أصرخ .. وأن أكرس الغلاب الخداع .. فأمد
 يدي الى أقصى امتداد .. على المس طرفاً من
 الخيط الصكوي المانع .. لكننا دائماً لا تصل
 .. وتبقى غير قادرة على اجتياز منطعة الشك
 التي تفصل بيتى وبين ذلك الخيط المغمور ...
 فانسحق ..

عنفت الدقات .. وارداد انتظامها ..
 واسرع توالى الحلقات .. واسرع دورانها ..
 كأنها تخرج من أعماق جب طويل .. ولما ارتدت
 أخذتني خلال الدوار والدوران .. فظلت أبحث
 الخطى نحو القاع .. كان الجب مليئاً بالنفثات
 .. خربة الصلبة .. وتفشاء نفس العنمة ...
 .. حرس على تجنب كل تنوء .. وكل صخرة
 .. كان غاراً .. هلامي الفور .. يسكنه
 .. صلب اللبس .. رأيت في أعماقه
 .. حرايب برد في بحر ..
 .. غير مرئي ..
 .. آد .. ألب مى
 .. بيلعه غضباً يمزج .. وعرفت أنه امتلأ ..
 وأن الألوان قد آن ليطفحه من جوفه .. ويخرج
 الى السطح .. لكن مفتاح سجنه الوهمى كان
 يتدلى من يدي .. وهالى يومها أن افتتح الباب
 .. فاستدردت خارجاً .. وبالرغم من تأكدي
 من أن جسد زوجتي المتمد بطول الجب كان
 أثيراً وبلا سمك .. وأنه لن يعوق خطواني ..
 حتى ولو غاصت فيه أقدامى حتى الركبة إلا
 اننى تجنبنت الخوض فيه .. ومشيت على
 الصخر الصلب ..

فزعت لرنين أخسر من جرس البسا ..
 تركب دمي نصف مخلوفه .. وحيط روع
 من الدم يصل بين الخدش وأسفل خدي ..
 وحيات العرق تساقط عبر جبهتى .. وتسرع
 عيني اللتين لم .. بهما بهذه السمعة .. وهذا
 الاحمرار من قلب .. ولما فتحت الباب ..
 أخبرني البواب .. لم يجد عشائى في الخارج ..

في الماضي والحاضر والمستقبل ، وقد خلفت خلفه مبادئ حصار محضه راسية ، انفسه التي
تصليق يدي ، في قضية قضية بعد - باعتبارها بشكل جيد ، في صيغة حاصه - ن س كين وهي
ثم أن الحصار أكثر طوعاً من دالة - عند محض - قد - من عند أن الحصار قوم بدور كثير
في حاح قضية أو احتياجاً ، وقصبت تصليق من كين ، محض باب بواقي مع ما تريد أن تقوم به
أقاربها كشفاً لأبعاد الموقف الذي تريد أن تعرضه .

[illegible][illegible]

وقد تمنا واقعاً من عالمي مختصراً بهذه الكلمة العاصدة المعاصرة التي تعكس وطنياً
خلفه في رؤيته السبب، محطته دولة ٠٠ من الزاوية التي تحسد على الماضي من هذه
المختصة العاصدة . من جهة أخرى الزاوية التي تفرق حدة المعاصرة عن مستقبل لأجسام
على الاستمرار من وجهة العاصدة ، لكنه في الواقع حصة عاجز عن تجاوز حد الاحتباس المقيم في
واقع . فقد سقط في حب العادات العتيقة التي حلت به ومن الحداثة صوال عام ٠٠ لذلك
نصرخ داخله بعظ : الآن تبين أن سلطان العادة هو ماضي الوحيد . برزت العواطف
الساحية مدد مني من قول محمد . : « اجعلني من الأحرار » العادة ذلك وحي لم يعد
من فضل على السعد . عطرها وثارت ، وحسدها حسب كما عاده . وفي برأس هذه العادة وقع ،
لأنه عاجز عن تخليط سميتها وحده . فانه يحاول أن يمر في الحذر - على معنى دوماً جلوي .

[illegible]

سبل وأن خطلم بعوامة ٠٠ ثم كيف ركب أحد النسيات دون أن يقرأ دمه - وكأنه عربة
فدرة أو مقبرة الجحولة الرمم - واستسلم وسطر حاميته سيد الناجس المحبون الذي ربط بين روحه
استائق الحامد وبين بقوله أحسن ٠٠ ثم حوّل صبحي أن يستسلم استائق لألحاح صغير المحصل
فوقوف حموج الأثرة المغلقة دوماً عائق ٠٠ عما أثوب الذي يريد الكاب أن يعكس خوفه هو من
أن يعقد بطولته وصموده في وجه اللصوص ويرسّس في أيدي قاده إلى الخط الحسوي الذي
أودى بالابوبس وشبابي زكاً كانوا فيه ٠٠ ن سابع الفضة الأيام الثلاثين التالية في حياته
٠٠ يوم أن عمدته لصحيف طلال ، وألقت كتابها حول سريره سيقون تفاصيل بطولته الحارقة ٠٠
ويوم أن طلع على الساس نساء حوته الذي عشا معه تفاصيله ٠ ثم ليبة هربه من مستشفى
الإمراس المغلقة ومحاولة الكبر على خطئه طلب مرغوي ٠٠ وبالرغم من أن الكاب قد وفق في
الصفح من صاحب العوامة الذي شسبه بالهبعه لطله بهذا الأسلوب الذي يشم منه نوصوح
شديد راحة بحب محفوظ - في الصياغة والنساء معاً - فإن المخططة الأقصوصية أقلت من بين يديه
سما لم تستطع هذه المعالجة السريعة أن تعد عملاً رؤيوا وان قدمت بخطبها تعهديا له
وإستطاعة الكاب ، لو أعاد كتابة هذه الفضة صخرة مرسعة أن يقدم لنا رواية جميلة تحمل
صوب مجتمع يستسلم لأكدمه ، وصوب عقل حازب بصراوة وحون معاً لمعزق أستاذها ،
وفد أعزبت الفضة عن قدرة روائية وأمد فاد على إحداج هذه المعاصرة الفسة والحروح منها .

[illegible]

وعند الضعوبة ليست وليده أحفاد، الجواهر الفاضلة من الماضي والحاضر . أو الاعتماد على
البلوغ الداخلي كنية في الغنى . أو رؤية كل الأحداث والحريات خلال دفتي الظل الصارخين
البارم . . ولكننا ولادة نوع من النشأة سرى من ثبات الغصة فنجهر على الكثير من اللطائف
والحنينة والمتألقة التي تعجز سطورها . . وما يكاد القساري صبح نده على موضوعها حتى غفلت منه
وسط الاستمرارية الشاعرة المساة فلا توقف وإلى محاول في استطرادها العديدة أن تعهد
بالضيق . أحاسيس ظلتها المحرقة دون الاعتماد على موقف واضح أو حدث محدود . . صبح أن
الكتاب يطلق في قصته من لحظة فيه ملائمة لتشكل الانقباضة وطبعيتها . . لكن حربه في
معالجتها دون، بصورة دون الحدث جعله يعقد هذه اللحظة الكثير من حيويتها وإيجانها . . وقد كان
الحرى وراء الصور في قصة (برف صوت صمت نصف طائر) أكثر تبريرا وأوفقا حكاما لأن
ظلتها كان شاعرا . . وكاتب طبعته في رؤية الأنساء وذكرها سر له هذه الاستطرادات
الشاعرة الخالصة التي كانت تعكس في الواقع الكثير من أسباب أزمة مع روحته ومع العالم من
أوله .

٥٠ أما هنا ، فإن نصوص العالم الخارجي تذكر أننى ستمدنيها السطل الى دهنه ،
حيث لا تأتى الأشياء الخارجية الى دهنه وحدها لكن فى انعكاسها على موضوعات تذكره

وربما يطأ بها فالسما الجميلة التي شاعدها ذات مرة منعكسه على حين حبسه وقوى حصلات شعرها ، تصطحبها إلى العصة صورة صغائر حبيسه التي تعكس فوقها ٠٠ مالا - هذا الطوبع الحادى لا يستطيع أن يصوغ لما الأبعاد الخارجيه لأزمه النطل أو حتى الأسباب الفكرية لها ٠٠ فبحر اراد نطل يعاى من أزمة محردة يعكس على كل شئ يراه ٠ ولكن لا يستطيع أن يهمنى للأسباب العامة أو الخاصة التي صنعت تلك الأزمة أو حتى وحريها ٠

فإنما تلك الشعرية المرفعة التي تكتظ بها العصة لا تكفى وحدها - نرغم حدوسها - لكتابة قصة ٠ بل لابد على الأقل من حط محسوس واهى ٠ غير بحريدى ، يربط هذه التأملات ٠ حتى ولو لم يظهر هذا الحيط على السطح ٠ ذلك لأن فقدان هذا الحيط الأثرى يعزل الكثير من هذه الصور والرؤى الشعرية بعضها عن بعض - فلوح كل واحدة منها وكأنها مجرد صورة حمانية معزولة لا يستطيع أن تنطق بأكثر من صوت مجرد عاجز عن الالتحام مع الأصوات الأخرى في طي واحد متناسق ٠ والتناسق بين الحزنات والصور هو الذى يجمع هذه الجزئيات المتناثرة ويخلق منها كائنا عصبونا قادرا على الإطلاق إلى الهدف الذى يرحله الكاتب له ٠٠ صحيح أن مجموعة الصور التي تضمها القصة تدور حول محور أساسى هو فقدان الحب وفقدان البراءة وفقدان المكاراة ٠٠ ولكن هذا المحور محور مجرد وليس محورا محسوسا ٠٠ يعنى أنه يمكن أن تدور حوله عشرات القصائد والعصص وتظل كل واحدة منها محتفظة باستقلالها وتفردها ٠

ونرغم هذا فإن هذا العيب لا يجهز على العصة ولكنه يضعها ويقلل من قدرتها على النفاذ والتأثير ٠ فقد أدركت القصة من لسانه معنى صحيح ، لكنه ضاع أسلوبه الداخلي ٠ وعمدت إلى التعبير بالصورة واعدا ب ٠ والأسباب منها تدفق الأفكار والموضوعات وحتى الأفكار فانه يتذكرها صورا لا شيئا ٠ الموضوعات محردة ٠ تدفق بعض هذه الحقيقة ويعدها يعنى كبر ، خاصة وأنها عبيد في أسلوب شاعري ٠٠ في الذكر فيها بأسلوب غير ذلك الأسلوب الشاعري ٠ فبعد أن أعاد لسانه ٠٠ بعد انباء المحسوس والحسنة ٠٠ لكنها رغم ادراكها العميق هذا فقدت في فقدان حط ٠٠ أعماق في ضلالت خمدنا ٠٠ أولهما هو اللجوء المتكرر إلى التعبير بالشيء ٠٠ عرفت الأثر ٠٠ بعد ٠٠ كلها مباشرة ٠٠ كان يقول ليس شديد الطلبة ، وليس يستخرج ٠٠ وليس عرنا ، الهوة التي ليست نحتملها أرض ٠ أو لم يكن كوم أن حشاك ٠٠ إلى آخر هذه العبارات القصيدة للحدود ٠ فهناك مثلا عشرات الألفاظ التي ليست للربيع ٠٠ وآلاف الألفاظ التي لا تشبه اليوم الذى جاءها منه ٠٠ فأتى واحد منها بقصد ٠٠ لا أحد يعرف ٠٠ لذلك كان الحدود ضروره منه لا يستطيع التعبير بالبقى أن يبوب عنها ٠٠ وثانها هو طوؤه المتكرر إلى فتح الأقواس النضام الدالة على الصمم أحيانا وعلى العجز عن الشد رعايا ٠٠ من انه يعارف مرة ويقول بين أحد هذه الأقواس ٠ آسف اذا وثقت الآن أنسى عاجز عن فعل هذه النحطة لك ٠ وأن حشر الطباغة لا يمكنه إلا أن يكون حشر طباغة ٠٠ لأنه لو كان الأمر كذلك لما كان هناك حشر مرور أصلا لكثافة العصة كلها ٠٠ فقد تكون الصمم مرورا في قصة نكتب من الخارج وتعتمد على السطح الخارجى للسلوك الاسمانى في محاولة منها لأنسوح هذا السطح وحده بكل ما يدور في أعماق الشخصية ووجدانها ٠٠ لكن في قصة تعتمد على الضمير الأول وتتحول بحرية داخل أعماق النطل وتدور الفواصل بين الأرومة تكون الصمت فرس العجز ، ولا يكون كما أرادته الكاتب وسيلة للتعبير بكل ما تعجز عنه اللغة المنطوقة ٠

وأخيرا فإن هذه الأفاقيص الثلاثة نرغم كل ما لسمناه فيها من هباب نؤكد موهبة كتابها وقدرتهم على الوصول إلى مرافق العصة الحقة ، كما نشر في نفس الوقت إلى الدور الكبير الذى قام به هذا الجيل الجديد من الكتاب النشأن في إعداد القصص من برائن الواقعية التقليدية الساذجة وإقالة عثراتها ٠



عن الحب والمدينة

للشاعر: محمد مهران السيد

وتركت فؤادي ينزو
واستمرات تهاويل الصمت !!

(٣)

كانت إيامك حبل ، .. قبل لقاء الغرباء ،
وكذلك جاء المولود .. برأسين
يحمل بصمات أصابعنا ..
.. نخن الاثنين ،

الذئبة ، والصيد الملقوه العينين
وشتاء مطوف ، قدرناه بعامين .. ،
واسمعت من فؤاد الوقت .. جريمتنا
نستجيب عنه ونكرهه
ولملمنا معجورين ..

.. مشغورين غير وجهتنا ،
أعطى كل منا الآخر .. ظهره
وتسربنا بين الناس المتكئين على الذات
ظهري يكشف عن جرحي المتقيح ، وعظامي النخرة
ظهرك ، يحمل بصمات الحيات ،
.. لم يمن بهيتتنا أحد ..
.. غير عيون المعروضات
فلماذا يعينك الحاضر والمستقبل ، أو ما هو آت

(٤)

هنا ما كان
فلندع الأشياء تمر
المانع والسكر ، والمز
ماذا كان سمحت .. أن لم ..
أن لم يسقط من يدك السيف
في هذا الصيف ..

(١)

لما كنا من مخلوقات مدينتنا البراقة
صرنا لعبتها المحشوة من أخصص قلميها .. حتى
الراس
.. بصنوف الفزع المشحوذ الحدين ، وأنواع
الياس

نصلبنا فوق الاعمدة المقروسة ، والإسحار
وتمزقنا تحت المعجلات ، المجنونة كالاعصار
وبدحرجنا طول اليوم على الأسفلت
ونفنتنا ، ساعات الليل المتأفل .. في الجحور
.. لما كنا من هذى المخلوقات
عشنا نجتر ضلالتنا ، في كف مدينتنا المعهولة ..
بجلدنا الرعب

عبر شوارعها التشنجة القسمات
وأزقتها ، والحدارات
رغم تطلعنا ، وتملقنا بمآذنها الآلف ،
.. حتى لما فاجأنا .. الحب
ذات أصيل .. بقطار الصيف
عانقناه سويا ، .. لكن في خوف

(٢)

من لا يعرف ، يحيا مرتاح البال
ولأنني يازهرة صبار الأيام المألحة .. عرفت
عانقت التجوال
وشربت مرارة أيامي ،
وتمنيت الموت
لكن ما فكرت دقائق .. أن اترك يدك الحاملة
جرائم المقت

هرم خفرع بالأشعة الكونية

فصحى

بقلم: د. فتحى البديوى

يسلط رجال العلم ورجال الآثار باهتمام كبير الى تجربة فحص هرم خفرع بالأشعة الكونية ، وذلك لانها ستستخدم فى التطبيق العملى لأول مرة ، كما ان نتائجها قد تؤدى الى كشف أثرية بانه . سواء أظهرت وجود حجرات أو ممرات غير معروفة داخل الهرم ، أو أثبتت عدم وجودها بما يدل على تطور خاص فى بناء الأهرامات .

ولقد بدأ الاستعداد لهذه التجربة العلمية العظيمة منذ عام ١٩٦٦ ، وسار شوطا كبيرا حتى العدوان الاسرائيلى فى ٥ يونية الماضى . بمعاونه ستة من العلماء المصريين فى مجالات الطبعة والآثار وخمس من العلماء الأمريكىين تحت اشراف لجنة عليا من وزارة الثقافة ووزارة التعليم العالى .

وبالرغم من سفر الاعضاء الأمريكىين وعرفاء العلماء المصريين وحملهم برئاسة الدكتور فتحى البديوى بركب **جميع الاجهزة العلمية** سواء فى تحفة الدفن بالهرم وفى المعمل القريب منه ، وحصلوا على منح دولية رائعة بالنسبة لأسلوب العمل ووسائل التفتيش ، مما دأب الحلف الأمريكى الى الاعتراف بذلك الجهد العلمى المتفوق ، وعملوا على ارسال أحد خبرائهم للمشاركة فى هذا المشروع الكبير .

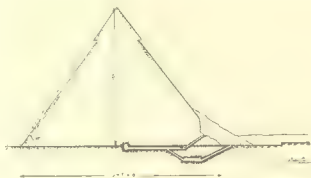
ان العالم يتطلع الى نتائج هذه التجربة الرائعة ، وما قد تسفر عنه من كشف ، ذات آثار قومية وعلمية وتاريخية جليلة . نعلن قبل نهاية هذا العام .

جاما التى تزيد طاقتها آلاف المرات وتكون بذلك أكثر نفذا خلال مثل هذه الاجسام العسائية الكثافة .

وفكرة فحص جسم الهرم للتعرف على ما به من حجرات أو فجوات لا تختلف فى أساسها عن عملية الكشف عن كسر فى عظم الانسان أو فقاعة داخل جسم من الحديد ، غير أنه لضخامة حجم الهرم لا تقيد الأشعة السينية أو أشعة جاما وإنما يلزم لها أشعة أخرى ذات قدرة نفاذ خارقة وطاقات عالية تقدر بضعة آلاف الملايين من الفولت الالكترونى .

ولعله من عجائب القدر احتواء الكون على حسيمات تسمى ميزونات ميو (أوميونات) تصل

ان نجاح الأشعة فى استخداماتها المتعددة فى عالم الطب والصناعة يرجع الى قدرة نفاذها خلال الاجسام بدرجات متفاوتة تسمح بفحص ما بداخلها من شوائب ، وتمتد هذه الحقيقة على كل من كثافة مكونات الجسم وطاقات الأشعة المستخدمة اذ ان زيادة كثافة الوسط تخفض من شفافية تلك الأشعة . كما أن قدرة نفاذها خلاله تتزايد مع طاقتها محددة بذلك نوع الأشعة اللازمة لعمليات تصوير التركيب الداخلى للجسم . ففى حالات الفحص الطبى يكتفى بالأشعة السينية التى لا تتعدى طاقتها بضعة آلاف من الفولت الالكترونى ، بينما يتطلب الفحص الصناعى فى الكشف عن عيوب الحديد مثلا استخدام أشعة



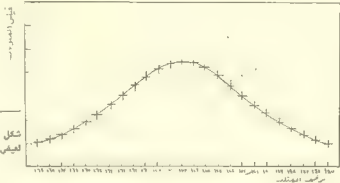
شكل (١)
مقطع الهرم خفرع

معالم مكونات مقبرته عن أعين اللصوص وعلى كل حال فيمكن البت في هذا الموضوع بعد تحليل نتائج التجربة العالية التي تستخدم حجرة الدفن المعروفة بالمستوى الأرضي في رصد ما يصلها من ميزونات الأشعة الكونية بعد نفاذها من مختلف الاتجاهات خلال جسم الهرم .

وفيما يلي وصف عام لهرم خفرع :
١ - تم بناء الهرم على قاعدة مربعة طول كل ضلع من قاعدته المربعة ٢١٥ر٥ مترًا ، وتقدر عدد الأحجار المستخدمة في بنائه بما يقرب من مليوني حجرة يبلغ وزن كل منها حوالي ٢ر٥ طنًا وقد يصل بعضها إلى ١٥ طنًا - ويوجد للهرم مدخلان في واجهته الشمالية يرتفع أحدهما عن سطح الأرض نحو عشرة أمتار ويعرف بمدخل بلزوني نسبة إلى مكتشفه عام ١٨١٨م والآخر مقطوع في الصخر عند سطح الأرض على بضعة أمتار من قاعدة الهرم . ويؤدي هذا المدخل إلى ممر هابط بزاوية ٣٠° وطوله ٣٩ مترًا يصل بعد ذلك إلى ممر أفقي طوله ١٢ر٥ مترًا مؤديًا بدوره إلى ممر صاعد بزاوية ١٤° وطوله ٢٤ر٣ مترًا ويؤدي إلى الممر الأفقي الرئيسي وطوله ٣٩ر٤ مترًا ، ويصل في نهايته إلى حجرة الدفن وهي في مستوى سطح الأرض ومساحتها ١٤ مترًا × ٥ مترًا وأقصى ارتفاع لسقفها الجملوني المثلث ٧ مترًا ، كما توجد غرفة أخرى تحت الأرض مساحتها ١٠ر٤ مترًا × ٣ر١ مترًا يمكن الوصول إليها عن طريق ممر

طاقتهما إلى ملايين الملايين أو تزيد من المولت الإلكتروني ، تسقط بصفة منتظمة من الفضاء الخارجي على سطح الكرة الأرضية تلك الميزونات هي إحدى مكونات الأشعة التي أطلق عليها العالم روبرت ميليكان عام ١٩٢٣ اسم الأشعة الكونية بعد أن تعرف عليها العالم فيكتور هيس عام ١٩١٢م وظلت تستخدم في ذلك المسمى في البحث الأكاديمي دون أي تطبيق عملي حتى بداية التفكير في استخدامها في مشروع الترميم كوسائل للأبحاث المصرية الذي يرجع مؤلفه إلى الدكتور لويس الفارز الأساذ بمعهد لورنس الإشعاعي بجامعة كاليفورنيا ورئيس الجانب الأمريكي في المشروع والتي مهدت إلى توقيع اتفاقية بين ج.ع.م والولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ ١٤ يوليو ١٩٦٦ تتعاون بمقتضاها جامعتا عين شمس و كاليفورنيا في تنفيذ هذا المشروع الذي يهدف إلى استخدام الأشعة الكونية في الكشف عما بداخل هرم خفرع بصفة خاصة من غرف أو ممرات أو فجوات لم تعرف من قبل .

ويرجع اختيار هرم خفرع كبداية لتنفيذ المشروع لاختلاف تركيبه الداخلي بشكل واضح عن كل من هرم أبيه خوفو أو هرم دهمشور لجمده مشغفرو لاحتواء كل منهما على مختلف العجرات والممرات التي يخلو منها تمامًا البنيان الشامخ لهرم خفرع ، وقد يكون ذلك نتيجة لتطوير هندسة العمارة في تلك الفترة التجريبية لبناء الأهرام أو ريدده في حرص الملك خفرع لاهتمامه



شكل (٢ - هـ) التوزيع الأفقي
لفيضي الميونات (صف رقم ١٢)

السطح الحساس من الكاشف لوحدة الزاوية
المجسمة (وزيادة الفيض عن هذا القدر معناه
سجيل جسيمات أخرى طاقتها أقل يمكن تسليها
في هذا الاتجاه نتيجة لوجود فجوة أي وجود
وسيط كثافته أقل من كثافة الحجر الجيري .

يمكن تبسيط عملية التنبؤ عن وجود مجرات
داخل ... تقسيم كل سطح من اسطح
... إلى مساحات صغيرة متساوية على
... صغرى صفوف أفقية كما في شكل (٢)
... إلى ٤٠٠ في نهاية
القاعدة التي تمثل الصف رقم ٢٠ أو ١٦٠٠ عند
تقسيم سطح الهرم إلى ٤٠ صف أفقي حسب ماعو
مستخدم حاليا ، وباعتبار الهرم جسماً مصمماً
فإن فيض الميزونات المسجلة في أجهزة القياس في
اتجاهات محددة بسطح كل مثلث يتوقف على
المسافة بين جهاز الرصد ومركز ذلك المثلث ،
وزيادة تلك المسافة معناه زيادة المدى المطلوب
للجسيمات وبالتالي زيادة طاقتها أي نقص
فيضها ، ويرسم الفيض الميزون لكل من المثلثات
الواقعة في صف أفقي نحصل على توزيع منتظم
ذي قمة تناظر المثلث الكائن عند أقصر مساه .
وبافتراض وجود فراغ في مسار الفيض المراد
لأحد هذه المثلثات فإن قيمته ولا شك مسترديد
ويظهر كمتو فوق شكل التوزيع الأفقي لفيض
محددا بذلك اتجاه ذلك الفراغ الذي تفتح أبعاد
من شكل التواء ، فزيادة طول الفراغ في اتجاه
الفيض لأحد هذه المثلثات يزيد من ارتفاع التواء

حاجب ١٦٨ مترًا يتفرع من الممر الأفقي القصير .

وتعتمد فكرة التجربة المستخدمة في فحص
الهرم على انتظام شدة الميونات النفاذة بالاشعة
الكوبية عند سقوطها على سطح الكرة الأرضية
بطاقتها المختلفة . ولما كانت طاقه أي جسم
مشحون كهربياً تقل تدريجياً أثناء مساره سيجبه
عائده مع درج الوسط الذي يمر فيه .
ذلك الجسم يتوقف على طاقته ...
الوسط فيزداد المدى كلما زادت الطاقة أو ...
الكثافة . وقد أثبت التجارب في حالة الميونات
عالية الطاقة بأن المدى يتزايد بانتظام مع زيادة
الطاقة ، ويبلغ معدل ما تفقده الميونات عند
مرورها متراً في أحجار الهرم بما يزيد قليلاً عن
نصف بليون من الفولت الإلكتروني (باعتبار
كثافة الحجر الجيري المستخدم ٢.٦٦ جم/سم^٣)
وباتخاذ غرفة الدفن بهرم خفر لقياس الأشعة
التي تنفذ إليها من مختلف الاتجاهات خلال جسم
الهرم نجد أن الأشعة الساقطة في اتجاه ما عليها
أن تعبر مسافة تختلف عن غيرها في اتجاه آخر ،
وأدنى مسافة تتحدد بالمسافة العمودية بين الغرفة
وسطح الهرم وتطلب لعبورها جسيمات طاقتها
٤٥ بيف ، بمعنى أن الجسيمات التي تقل طاقتها
عن تلك القيمة تقف قبل أن تصل إلى أجهزة
القياس . وباستخدام العلاقة العملية المعروفة بين
المدى و فيض الميزونات يمكن حساب فيض
الميزونات التي تزيد طاقتها عن ذلك القدر
(٤ × ١٠^{-١٠} جسيم في الثانية لكل سم^٢ من

عند موضع المثلث واتساع الفراغ يزيد عرض التواء ليشغل أكثر من مثلث . وعلى العموم فإن دراسة جميع التوزيعات الأفقية لبعض المثلثات المختلفة لوضعين متباعدين لجهاز الرصد يجعل من المتيسر تحديد موقع الفراغ وحساب حجمه وشكله .

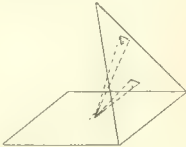
ويتضح مما سبق بأن إمكانية تنفيذ هذه التجربة ترجع أساساً إلى إيجاد وسيلة لرصد تلك



شكل (٢ - ١) تقسيم السطح إلى مثلثات مواءمة

الميزونات العالية الطاقة وتسجيل اتجاهات مساراتها بطريقة اتوماتيكية تعمل بصفة مستمرة ليل نهار للحصول على فيض مناسب لا يتأثر كثيراً بالتغيرات الاحصائية . ويتقدم وسائل الكشف عن تلك الجسيمات وتطور الأجهزة الالكترونية أمكن التخطيط لتجربة الهرم التي تستخدم عدادات الوميض في الكشف عن الميزونات التي تصل حجرة الدفن مع تحديد اتجاهاتها باستخدام غرف الشرار . ويتكون الشكل العام للجهاز الاساسي الذي يوضع في غرفة القياس بالهرم (شكل ٣) من خمس طبقات أفقية تشغل غرف الشرار الطبقتين المتتاليتين ب ، ج بينما تشغل العدادات الوميضية الطبقات ا ، د ، هـ ، و مساحة السطح الفعال لكل عداد ووميض متر مربع وهو عبارة عن لوح من البلاستيك المشتمل على مواد تنزه (فلورسنت) بمرور الميزون وتنقل ومضة الضوء بعد تجميعها في الانبوبة الضوئية إلى

الكائود أو المهبط الحساس للمضاعف الضوئي المتصل بلوح البلاستيك فينبعث منه الكترونات ثانوية تندفع تجاه الانود أو المصعد الاول للمضاعف ومنه إلى آخر وهكذا فيتكاثر عددها وينؤدي في النهاية إلى نبضة كهربائية يمكن تكبيرها والاستفادة منها في التعرف على مرور الميزون . وتوافق ثلاث نبضات بالعدادات الوميضية بطبقاتها الثلاث لا يدل فقط على مرور الميزون في اتجاهات محددة بزاوية الاستقبال المجسدة للجهاز بل ينمى الدوائر الالكترونية لتشغيل غرف الشرار في تلك اللحظة لتحديد مسار الميزون عن طريق رصد بياني لموضع نقطة تقاطعه مع كل من طبقتي غرف الشرار ، وتشتمل كل من هذه الغرف المحكمة الاطراف على طبقتين متوازيتين تبعد كل منهما عن الأخرى ١ سم وتشتمل كل طبقة على نسيج خاص من مادة عازلة تتخلله مجموعة من الاسلاك النحاسية المتوازية المسماة من جانب واحد بحيث تكون أسلاك سطح الطبقة العليا موازية للمحور السيني ومتعامدة مع أسلاك نسيج الطبقة السفلى فتعطي سطحاً أفقياً مسطحاً . والطبقة السفلى قيمة س - محدد زوايا ج - د - هـ غرف الشرار ووصول نبضة الجهد العالي لتشغيلها تنتقل شرارة في غاز النيوون الذي يملأ الغرفة بين أحد أسلاك نسيجها العلوي وأحد أسلاك نسيجها السفلى مكملة بذلك الدائرة الكهربائية التي تسمح بمرور تيار كهربائي في كلا السلكين المثبتين للمحورين السيني والصادي ويمكن تحديد موضع تقابل الشرارة (س ، ص) بالغرفة العليا وكذلك موقع تقابلها

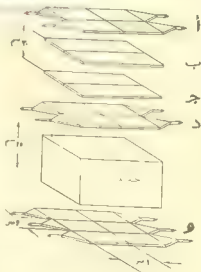


شكل (٢ - ٢) الزوايا الجسم للمثلثات

بالغرفة السفلى (س ٣ ، ص ٣) عن طريق استخدام أسلاك استبدال مغناطيسية تعمل على إرسال نبضات مميزة لهذه الاجهزة.

ويلاحظ من الشكل العام لهيكل الجهاز فصل طبقتي الغرف الوميضية السفلى بجسم من الحديد يبلغ حجمه حوالي ٤٠ متر مكعب ومهمته استبعاد الميزونات البطيئة أى عدم السماح بتسجيل الميزونات غير الفادرة على النفاذ خلاله والوصول إلى طبقة الغرف الوميضية السفلى ، وذلك لقصر التسجيل على تلك الميزونات التي تصل عرفة القياس بطاقة تزيد على ٢٥٠ باف ولا تتحرف كثيرا أثناء مرورها خلال جسم الهرم مما يجعل اتجاه الميزون بعد عبوره جسم الهرم إلى جهاز القياس معاندا إلى درجة كبرى لا تحاها عند سفوحه على سطح الهرم .

وتيسيرا للعمليات الحسابية المتعلقة بكل جسم
فان الامر يتطلب استخدام أحد العقول الالكترونية
المناسبة ، فتجرى التجربة بإرسال المعلومات
الخاصة بكل ميزون على صورة نبضات كهربية
في أسلاك ممتدة من غرفة القياس داخل الميزون
إلى غرفة التسجيل بعمل المشروع الذي يبعد



نصف كيلومتر شمال هرم جفرع وتوجد تلك المعلومات على شرائط مغناطيسية بجهاز التسجيل ثم ترسل لتحليلها بالحاسب الالكتروني الذي يقوم عن طريق برامج متعددة بتخزين المعلومات بذاكرته ومراجعتها وحساب اتجاهات الميزونات المسجلة وتوزيعها حسب نقط تقاطعها مع أسطح الهرم وتعيين التوزيعات الأفقية لقيس الميزونات ثم التنبؤ عن اتجاه الفراغات أو الحجرات التي قد توجد داخل الهرم .

وخلال الأشهر القليلة الماضية أمكن بالفعل التواصل ليلا ونهارا تسجيل المعلومات الخاصة لما يقرب من مليوني ميزون وحفظت تلك المعلومات على الاشرطة المغناطيسية انتظارا لتحليلها على الحاسب الالكتروني ايام ١١٣٠ الذي وصل حديثا لجامعة عين شمس ضمن اجهزه المشروع .

وقد تمكن العاملون بالتشروع أثناء هذه الفترة من إجراء بعض الحسابات الميدانية باستخدام الحاسب الإلكتروني بـجهاز التعتية العامة والإحصاء لتأكيد صحة فكرة التجربة عن طريق التعرف على مدى نتائج مركز قاعدة هوم خفوع مع مركز حجرة الموحود بها أجهزة القياس والدكمة. يمكن اتباع من طريق أخرى، حيث أن الحجرة في أراحه في مركز بك الحجرة في الإحصاء في الشمال والشرقي وقدرت تلك الإزاحة بعدة أمتار أمكن تنميدتها بالقياسات المساحية.

وباستكمال تشغيل الحاسب الالكتروني أيام
بجامعة عين شمس ينتظر انجاز عمديات التحليل
بخاصة بهذا المشروع خلال الاسابيع القليلة
المقبلة ، وبذلك يمكن البت في هذه المرحلة عما
إذا كان التركيب العلوى لذلك الهرم يشمل على
حجرات أو فجوات أو ممرات غير معروفة من قبل
وتحديد اتجاهاتها ، وعند ثبوت ذلك سوف تتكرر
التجربة بما زاحته أجهزة العياس بحجرة الزمن
عدة مرار لتعيين الاتجاه المناظر لتلك الفجوة في
عده الحارة ، ويحدد موقعها سقاطة الانعكاس
الناشئة في المرحلتين كما يمكن تقدير حجم
الفجوة ، وتستغرق المرحلة الثانية لتلك التجربة
حوالى ثلاثة شهور ، وبذلك يشهد نهاية هذا العام
اعلان نتائج البحث العلمى فى أول تطبيقه
النسبة للكشوف الاثرية فى هرم خفر *

المجلات العالمية



من المجلات الفرنسية

الخلاص في الموت والوطن

في عدد حديث من مجلة « ماجارن لينير » Magazine Littéraire الفرنسية ، وهي مجلة أدبية شهرية ، مقالان يرفهما هنا كما هما من أعين خاصة في الكشف عن روح العصر ، وما بينهما من ارتباط مع معصود .

أما المقال الأول فهو عبارة عن قراءة جديدة لأدب موديس باريس Barris ، قام بها وسجل ملاحظاته عليها الناقد المعروف جان ديديه Jean Didier .

يبدأ ديديه حديثه بهذا السؤال الهام « هل لا يزال أدب باريس يقرأ حتى اليوم ؟ ! ثم لا تلبث أن يحيل سؤاله إلى دور النشر ، أين يسكن على أعاده طبع أعمال باريس ، من أين ، من وفاته .. تلك الأعمال التي سيظل يبعثها مجلدات صحته ، هي كل أساجه في الرواية .. في المسرح والمذكرات الشخصية . »
« لقد كان باريس يعرف نفسه بـ « لا كثر يدوم » أنه لا يعرف نفسه على الإطلاق . »

من هذه العبارة التي تظنها انتشار العريس المعاصر لوى أراجون Louis Aragon ينطلق ديديه بحثاً عن باريس أو بحثاً عن ذاته الصالحة .

حما كانت ذات باريس صالحة .. ولكن في ماذا ؟ ! يقول موريالك Mauriac : « إن ذات باريس كانت صالحة فيما كنت صالحة فيه أنا وكل شباب عصر باريس .. أريد أن أقول في السماء والمثل ... »

ولذلك نجد أن كل شخصيات باريس تبحث عن نفسها كما تبحث عن المطلق . ذلك المطلق الذي ذهب باريس للبحث عنه في احضان الشرق عند ما كتب روايته المشهورة « حديقة فوق نهر العاصي » Un jardin sur l'Orante

وهو نهر معروف في سوريا ، التي قال عنها باريس أنها حديقة الله على الأرض وجنة عدن الأسطورية .

وهكذا نجح باريس في أن يوفق بين حياته وكفاليته ، بحيث التحم الاثنان التحاما عضوياً سمي بعد ذلك باسم باريس أو « الباريسية » ..

فلذا كانت « حديقة فوق نهر العاصي » هي الرواية التي جسد فيها باريس بحثه عن المطلق ، فإن « الإنسان الحُر » L'homme Libre هي الرواية التي جمع فيها باريس بحثه عن ذاته .. وهي الرواية التي رأى ديديه

أنها « مفتاح سر باريس » والتناقله المطلة على عوائق السيكلوجية المقلدة .

في هذه الرواية وضع باريس المبادئ الثلاثة التي تقوم عليها عبادة « الذات » .. عبادة الذات هو عنوان الثلاثة الروايات التي تسمى « الإنسان الحر » و « تحت عين الهمجين » و « حديقة بيرينسي » .

أما المبادئ الثلاثة فتلخص في هذه العبارات الثلاث :

١ - أننا لا نكون أكبر سعادة إلا في تعجيد أنفسنا .
٢ - أن الذي يزيد من سعادة تعجيد النفس هو تحلل هذا التعجيد .

٣ - يجب أن نعيش ضرورياً ، نعيش غير الأكلام .

وهذه الرواية لها طلق باريس صرحه المذموم غير أنها « أو صرخة السام التي يقول فيها « ملك صاصيح آله ديديه لو أني عرفت سري » ..

لو أني عرفت سري .. هذه هي العبارة التي تعري الذي يقول : « أنا الجرح والسكين » والتسطر الثاني غارق في باسكال الذي يقول : « أن القصص الباردة الذي يحيط بهذه المساحات الشاسعة يظلمني » ..

ويظلم ديديه إلى أن روايته « الإنسان الحر » ما هي إلا سقمويه ممره للكاتب طالما أعيد أن الكلام هي وحدها القادرة على تفسيح ذاته وعلى تصديدها .. الأمر الذي انتهى بـ « باريس » إلى تجزؤ ذاته من كثرة بطلها مما أدى إلى بمرته هذه الجرحان بحيث تعبر جميعاً بعد ذلك .. ومما صامت ذات باريس فس .. بها تعاضها .. وبدلاً من أن يقول « عقلت ذاتي كاملة » ، قال : « تعضت ذاتي تماماً » .. قالها بمرارة وألم كما قالها شباب جيله الصالح ، وكما يقولها شباب هذا الجيل الصالح « نفساً .. هذا الصياح المشترك بين جيلين هو الذي دفع الجيل الأول إلى قراءة باريس في طبعات كتبه الأولى وهو الذي دفع الجيل الأخير إلى قراءة باريس في طبعات كتبه الجديدة .

ويرى ديديه أن تأثير باريس لا يتصحب على قراءة الجيلين مما فحسب ولكنه يمد كذلك إلى كتاب الجيل الأخير أو الكتاب المعاصرين .. أراجون وموريالك وماثرو .. ذلك أن باريس قد وضع في أعماله ، « قاعدة اللعبة » ،

أعاده .. وهنا أحس بشئ غريب يزأل كيانه ويعدد اليه
المرى والبؤس والعلم .. يعيده الى « عالمه المتزل » ..
فيهرب اليه من جديد .. يكتب « شعاعا » عن « الأرض
الخراب » التي لم يعرف كيف يعيش عليها .. ويكتب
روايات عن « مهنة العبيسة » التي لم يصرف كيف
يمارسها .. وأخيرا يكتب عن « الانتحار » الذي عرف
كيف يحققه بعد محاولات متترة هي الأخرى .. بدأت
سنة ١٩٢٧ وانتهت مع انتصاف قرنا العشرين ..

وكانت البداية .. هذه الرسالة التي يثب بها الى
صديقه الوحيد ستوراني يقول فيها : « ان أكتب بعد
ذلك ، فلم تعد لدى القدرة على الكتابة ولم يعد لدى ما
أقوله .. وبعد ان كتبت قصيدة « المسحس » لا يبقى غير
ترك القلم والقيام بالمعاولة » .

وفي سنة ١٩٢٦ عرف بافيسيه كلمة جديدة هي
« الأمل » ظلت فترة طويلة في مواجهة الكلمة المأثورة لديه وهي
« الانتحار » .. كل منهما بمثابة المرأة المصقولة التي يرى فيها
نفسه كلها تراد .. ولكنه كان دائما في صراع بين طرفين أو كان
بالأحرى في صراع مع كلا الطرفين .

أما الأمل فقد دفعه الى التقاط براقصة ظنا منه انها
ستمنحه الحب الصانع وتوفيه الأيام العزينة وتعود به
من « العالم المتزل » الى المجتمع الصاخب
ولكنه سرعان ما يرنم بجدار القتل وينظر الى امرأة
الانتحار يرى نفسه متهاة تطلب الخلاص وتزين له ..

كتب يقول : « الآن أدركت انه محكوم على بالتفكير في
الانتحار والقيام به امام أي شئ أو ألم يهترى » ..
لم يجد الخلاص إذن في الأمل .. ولم يجدد في الخمر
ولا في السياسة ولا في الدين .. كان الشعر مجرد دواء مسكن
وأصبحت المرأة هذه مجرد مفسدة ومع هذا بات كل
مغامراته بالتفلسل .. فلم يعد أمامه فاء الانتحار ..

فلحق به الى احد فسادق مدينة تورينو حيث ابتلع
كمية من الاقراص الممنومة .. ليضام الى الأبد .. غير انه
باعل جائزة ادبية في إيطاليا ، وهي جائزة ستريغا Sirega
فاز بها في يونيو سنة ١٩٥٠ أي قبل انتحاره بأقل من شهرين .

مات افيسيه ولكن أعماله لم تمت .. صحيح ان أعماله
قد صحتها الصمت متلفا صاحب حياته وموته على السواء
ولكن الصحيح ايضا ان جيلا بأسره تأثر ببافيسيه الكاتب
والإنسان معا فوصل جيمس ديسن الى قمة القبول قبول
بافيسيه ووصل أدورميلي الى قمة الرفض رفض بافيسيه

ولكن أنطونيو المخرج السينمائي الشهير حاول ان يوفق بين
كلا الطرفين .. فاختار بمصالح « مأساة بافيسيه » معالجة
عصرية لأنه أحس ان تلك المأساة .. مأساة المثل والعزلة
ثم الانتحار هي مرض العصر وأشد أمراضه خطرا وأثرها
انتشارا .

ومن هنا جاءت أهمية هذا المقال الثاني عن الشاعر
اللقيد الذي وجد خلاصة في الانتحار .. على النقيض تماما
من باريس الذي وجد خلاصة .. كما قلنا .. في الوطن ..
بالرغم من ان السام والمثل هما اللذان دفعا الكاتبين معا
الى البحث عن الخلاص .. أي خلاص !

للك القاعدة التي لا زالت تحكم حياتنا والتي تتمثل في
السام والمثل .. حتى انه قد صار من المستحيل أو يصعب
الإنسان كتابا أو مفكرا دون ان يصاب بالسام والمثل .

غير ان باريس لا يلف عند « ذاته » في رواية « الإنسان
الحر » ولكنه يتعداها الى « وطنه » فرواية « تحت عين
الهمجين » والتي دينته في رواية « حديقة بيرنيس » ..
هذا على الرغم من ان الروايات الثلاث تنظم تحت عنوان
واحد هو « كما قلنا » عبادة الذات ..

على ان الجزء الثاني هو أهم اجزاء الثلاثة لا لأنه
يبحث عن الوطن ولكن لأنه كان بمثابة الخيط الدقيق
الذي ربط باريس بالفضية الوطنية فكتب ثلاثة أخرى
بمنوان « الحركة الوطنية » يمجده فيها الحرب .. ولكنه
لم يجد المصطر الى خوف الحركة أو الذي وجد نفسه في
قلب الحركة فاحس انه لا مفر من ان يسكبها أو يموت ..
ومن هنا جاءت أهمية المقال عن الأدب الصانع الذي
وجد خلاصة في امتناق وطنه .

« أما المقال الثاني فهو عن الشاعر والكاتب الإيطالي
الجهول سيزار بافيسيه Pavese الذي مات منتحرا
عام ١٩٥٠ وكانت وصيته هي الصمت .. فقد ترك الى
جوار عليه فارغة من الحبوب التي ابتلعها ورقه صفرية
تحمل هذه الكلمات « اني اصنع من كل الناس كما أكتب
منهم الصلع .. حسن ! ولكن لا أريد كثيرا من الإرضاء
لو سمعتم » .

وبالفعل لم يكتب عنه الصحف والمجلات شيئا الاثر
من خير وفاته . فمات في صمت كما عاش في صمت الى ان
تذكره جسان .. بالريك موري Maneri المخرج الأدبي
بجريدة ماجازين ليتابر بعد ثمانية عشرة عاما من وفاته
فكتب هذا المقال تحت عنوان « بافيسيه الرجل الوحيد » .

وبافيسيه لا يقل أهمية في رأي موري من سارتر أو
كافكا من حيث « الأحماسي بالعصر وعقائده » فقد كتب
فيسيه قبيل انتحاره بشهور قليلة هذه العبارة : « ان
الإنسان لا يقتل نفسه من أجل حب امرأة ولكنه يقتل نفسه
لان حيا ، أي حب ، يظهرنا في هيئة وبؤسنا وعندما » .

وعاريا بالنسبة عندما فسحى بافيسيه بكل شئ ..
بالشهرة والمال والجوائز الأدبية .. فسحى بالحياة ..
واختار الموت لأن حبا ، أي حب ، دفعه اليه .

ولد سيزار بافيسيه في التاسع من سبتمبر عام
١٩٠٨ في مقاطعة سانتو ستيغاثونيتورينو لأب مات بعد ست
سنوات وام مات لها ثلاثة اطفال واخت في السادسة من
عمرها .. في هذا الجو الخافت نشأ بافيسيه ، ولكنه
ما لبث ان أحس برغبته في خلق « عالم متزل » يهرب
اليه بعيدا عن الناس . عالم لا سكنه غير الغابات والنباتات
والعصافير ، فلما يس من العثور عليه لجأ الى الكتب
يلتهمها والى نفسه يحاورها .. الى ان خلق قلبه خلفه
الأولى .. كانت زميلته العزباء ، شقراء وجعيلة اسمها
أولجا .. لكنها لم تعرف اهتماما .. لم يياس .. قل بنوع
خطواتها ويتحدث اليها في عدم وجودها .. حتى فوجئ
بها ذات مرة تقبل شخصه آخر في زورق كان يتجاذى

القراء والكتاب

لنا تموزق القيم الاصيله
في الثقافة العربية

بالبيئة العربية في اسبانيا ، وترجم منها كذلك الى العربية
كثيرا من النصوص .

وعن التحكم بأمانة المؤلف لانه رفض ان يغير النص
التقديم او يعدل فيه ، بعد مناقشته واجازته في فرنسا ،
الذي ان هذا مبدأ سائد في النشر ، لا يسمح لاسنان
يادولي تغير في نص فرغ الكاتب منه .

وهذا كله هراء ، لا اريد ان افقد عنده ، بل انتقل
مباشرة الى مسائل اخرى ، تربط بتاريخنا السياسي داخل
الجامعة ، والحركة الثقافية ، واخلاقيات الكتابة النقدية .
اخذ الناقد على المؤلف تصديره الكتاب بمقدمة اطلق
عليها « الحقيقة والتاريخ » ، عرض فيها تجربته المريرة
التي خاضها وحده عقب عودته من البعثة .

وفضلا عن ان هذه المقدمة تطرح وجه العناية السياسية
والاجتماعية في مصر في أعقاب الحرب الكبرى الثانية ، حين
كانت البسام الدراسات الانجليزية - القديمة والحديثة -
مقصودة على الاجانب ، لا يستلجم اي طالب مصري آخرها ،
فلا ريب ان كتابا او رسالة جامعية تعد هاتيك الايام ، لم
تقل مضطربة لدى صاحبها ، لا يدفع بها الى النشر الا بعد
مضيق سنة ، لا بد ان تكتب لها مقدمة طويلة ، يؤرخ
فيها هذه الظروف الواعية ، وهو ما وجد الدكتور حسن
عبد الله نفسه مضطرا اليه .

وهذه المقدمة المذكورة - مع الفارق - بمقدمة الدكتور
لويس عوض لكتابه «الضائع» مذكرات طالب بعثة - الذي
عاش أيضا بعد عشرين سنة من أعداده .

الا ان أسودا على مقال فاروق فريد اتهامه المسافر
للدكتور حسن عون بأنه نقل معظم كتابه من كتاب ماكس
بولونون عن هذا الشاعر ، وهو ليس الكتاب الوحيد الذي اعتمد
عليه الدكتور عون ، بل اعتمد كذلك في النصوص والترجمة
على مجموعات : بيديه - جازينييه - بنسزاد - بانكوك -
توبينير ، الى جانب مجموعات اخرى من المترجمين الانجليز
وغيرهم ، وكتب تاريخ الادب الانلاني - وهي جميعا التي
مكنته من ان يترك عوالم اخرى في النقد الادبي ، ويعلق
في الخلق أوسع .

والغريب ان كل استنساخات الناقد لا تخرج عن
تواريخ نظام الصفاته ، وطبع الدواوين ، وتغلات الشعراء -
ولست نعلم الى القول انها حقائق ثابتة ، يتناقلها الباحثون
والمترجمون جميعا ، دون اي اهتمام ، ويسلم بها الناقد ،
بشرط ان يذكر المؤلف المرجع ، وقد ذكره في الكتاب كثيرا ،
اوله ما ورد بالسطر الاول من الصفحة الثانية للنص .

ولكن المؤلف أحجم في الحقيقة عن ايراد مراجعته
بالتفصيل ، التي تعدل أربعين مرجعا لانه رأى - سواء
اصاب أم أخطأ - ان كتابا يقدم الى الجماهير القارئة يمكن
ان يستلني عن اسماء المراجع التي يصعب العودة اليها -
اما الاختلاف بين ترجمة الدكتور عون والترجمة التي
وضعها الناقد ، فليس مردها ان الدكتور عون نقل عن
الفرنسية ، بل سببها انه حين عقد هذه الدراسة كان قد
مضى عليه في باريس تسع سنين ، لم يطالع خلالها الفلسفة
العربية .

صدر عن دار الكتاب العربي بالقاهرة ، في منتصف
هذه السنة ، كتاب في الادب اللاتيني ، على جانب كبير من
القيمة والنسج ، من تأليف الدكتور حسن عون ، يتناول
لأول مرة في اللغة العربية حياة وشعر الشاعر اللاتيني
نيبول .

وتتمثل أهمية هذا الكتاب في انه دراسة اكااديمية
خلقة ، أعدت باللغة العربية في فرنسا منذ نحو عشرين
سنة ، على يدى المستشرق ليني بروفانسال ، تهتم بجماليات
النص الشعري لغير اهتمامها بتفاصيل التاريخ ، ويقف فيها
المؤلف موقفا معتدلا يجمع فيه بين العالم الدارس والفنان
المتذوق .

ولو ان في بلادنا حركة نقدية بقللة ، لادركت على
النو ان نشر مثل هذا الكتاب حينئذى ثاقبي عام ، يجب
الاحتفاء به ، ليس على المستوى العربي وحده ، بل على
المستوى العالمى ايضا ، لارتفاع مستوى هذا الشاعر ، وقلة
ما كتب عنه في الادب الانجليزية .

ولا كانت الحركة النقدية في بلادنا - بالذات - لتجيب
توقيل الجيل الاول عن الكتابة ، وسقوط اكثر اعلام الجيل
الثاني (صفر خلاجه - معبد منور - غنيمي هلال) ،
وانصراف نقاد الادب الجديد الى الاعمال الادارية في الثقافة
والاعلام ، خلا الجو لاولئك الذين لا يعرفون طبيعة النقد
وطريقته وأهدافه ، على ضوء احتياجات المجتمع الانشراكي
الثوري ، ويحاولون - بقصد وبغير قصد - خلط العابل
بالبابل ، وانكار الشمس في ضحاها .

وتطالعنا مقالة فاروق فريد عن كتاب « نيبول » ،
التي نشرت في العدد ١٤١ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٨ من
مجلة « المجلة » ، على نموذج من هذه الكتابات ، التي تدعى
في مطهرها العلم الغزير واللغوسية ، دون ان تنظر على
الآلة لقيمة واجدة هامة ، يمكن ان تشكل الرأى العام
او تتقدم بالثقافة .

وأول ما يلفت النظر في هذا المقال انصرافه الاكبر الى
جملة مأخذ جانبية ، لا تتصل بجوهر الكتاب ، انصوبها
مطالبة حسن عون بان يصدر رسالته الرئيسية للدكتوراة
وهي في موضوع مختلف تماما ، بدلا من تلك الرسالة
الثانية التي امكن اخراجها من نطاق الجامعة الى الجماهير
العريضة ، والتي تقدم عادة تمة قليل درجة دكتوراه الدولة.
كذلك من آرائه الغربية حكمه على ليني بروفانسال ،
الذي عينته السوربون شرفا لبعثات الدكتور عون في
اللاتينيات ، بأنه غير متفهم . والحق ان بروفانسال من
اللغة التي انتجت بوفرة أبحاثا عميقة في اللاتينيات المتصلة

ومع هذا فقد استطاع في هذه الترجمة ، التي ترتفع كثيرا على ترجمة فاروق فريد ، أن يبلغ درجات عالية من التائق والإبداع .

إن ترجمة الدكتور عون البسيطة الدالة : « ما قيمة النوم على الحبر يوم أن يسعدنا الحب » ، أبلغ جدا في أداء المعنى والتصريح الهادي، عنه ، وأوقع في صوت الكلمات واتساقها ، من ترجمة النافذ : « ما جوى النوم على سرير من حبر » (صور) من غير مزاولة للعشق ؟

ذلك أن المعنى الذي تقدمه ترجمته « بادي، بد ، يتناقض مع ما عرف عن تيبول : اللعب الطري ، الذي لم يكن يبحث عن العشق المضطرب ، بل عانى منه كثيرا واحتج عليه ، وعاش يعلم بالحب الطاهر والشفقة في هيئته (بيدوم) .

أضف إلى ذلك أن كلمة « مزاولة » هنا كلمة متفرقة غير شعرية ، يبعثها السمع ، ترتبط في مفهومنا بأسوأ المعاني ، والفرانها بالعشق يتع الشاعر .

وأذا كان الدكتور عون قد أضاف مثلا اسم «أمور» ، وهو غير موجود في النص اللاتيني ووارد في النص الفرنسي . فهذا أيضا لا يقطع بأنه اعتمد كلية على النص الفرنسي . بل أضاف منه ، وجعله عنصرا سميما ، يساعد على دقة الترجمة ، وهي مسألة مشروعة بين المترجمين .. فضل فيها التصريح بـ « أمور » المستتر ، الذي تضمنه صيغة فعل الأمر في النص الشعري ، زيادة للإيضاح .

وطالما أن الترجمة تتناول نصا واحدا ، فلا حرج من التشابه ، ووقوع العابر على العابر .

بقيت كلمة عن الحوار الذي عرفه المترجم المؤلف ، في مجلة « الأدب » التي رتبته لتخصيصه فيل جينيسون الكتاب بسنة ، إذ لم يسلم كذلك من قلم النافذ ، ولم يسلم منه صاحبه ، لأن هذا هو الجزء العدل لكل من اتصل بالدكتور عون .

لقد اجتاز النافذ إجابة سؤال عن مدى تعبير حسدا الشاعر القديم عن عصره ، ليبدل بذلك على نقاعة الحوار .. ولو أن النافذ كان أميناً لأورد الإجابة كاملة كما ذكرها المؤلف ، ولما وضع حرفي س و ج غير الواردين في الكتاب ، لكي يقلل ضمنا من قيمة الحوار ، فكشف عن رغبته الجامحة في اهالة التراب على كل شيء .

كما أتى حين وضعت ، في مستهل هذا الحوار ، كتاب تيبول « مع ثلاثة كتب أخرى في المكتبة العربية عن شعراء يونانيين ولائبيين » لم ادع أن مؤلفيهم متخصصون ، لينكر النافذ تخصصهم .

نظمت الأخيرة أذكرها على عجل ، وهي أن الدكتور عون لو كان حقا من طراز الذين يبحثون عن الشهرة والدعاية ، باستكتاب شهادات حسن السير والسلوك ، كما يزعم النافذ ، لا انصرف عن الحياة الثقافية العامة إلى الجامعة ، ولا صبر على كتابه المذعورين سنة ، إلى أن يأتيه بالمصادفة الحفلة من يجعل مقطوعة من الاسكندرية إلى القاهرة ، لكي تقوم دار الكتاب العربي بنشره .. وقد تم ذلك دون أن يذق المؤلف باحد من السؤلوفين عن النشر ، ودون أن يضع قدمه في إحدى مياي وزارة الثقافة ، التي يدور الكتاب بينهما ويتكاملون .

إن امتحان عمل هام في ثقافتنا العربية المعاصرة ، مثل كتاب الدكتور حسن عون عن « تيبول » ، ليس قضية أدبية وحسب ، بل قضية قومية ، تنعزق فيها على الملا الكيم الصادقة الاسيلة .

فيل كثير أن ادعو كل مثقف لاستبصارها والدفاع عنها ، من أجل الحفاظ على وجه الثقافة العربية المتقدمة ، التي بلغ في المرحلة الراهنة جبهة قوية ملتزمة ، تقود ، وتوجه ، وتؤيد ، إلى الأمام ؟

نبيل فوج

لا .. بل تعليق ساذج !

إلى حنجرة مينة فريدة في بابها ، ولو دخل السيد الحساني معصلا للأصوات ، ودرس هذا الأمر الذي يعد الآن من اليديهيات ويعدده الحساني « إحدى الخوارق ! » ومشكلة المشاكل ، ليجل من أن يعرض جهله هكذا على الجمهور . ولو سأل استاذنا الدكتور إبراهيم نيس أو استاذنا الدكتور عبد الرحمن أيوب أو لغيرهما لأراحوه من هذه التفكير واتهام الناس بالباطل !

أما نص سر صناعة الأعراب لابن جني (٢١/١) الذي يقول : « هذه الأحرف اللثمي بعدد لأشباع الحركات لا يكن إلا سواكن ، لأنهن مدات ، والمدات لا يتحركن أبدا » فإني أعرفه ، وهو يجعل آية جهل الملق ، فإن جني يخلف هنا بين المطلق والكتابة حقا ، لأنه يعد الحركات الطويلة حروفا سواكن ، والحركة معناها عدم السكون ، فلا توصف الحركة بأنها ساكنة ، غير أن ابن جني ينظر إلى الخط ، فيري الألف والنواو والياء حروفا ساكنة !

في عدد أغسطس ١٩٦٨ من هذه المجلة كتب السيد الحساني حسن عبد الله تعليقا على مقالتي المنشورين في العدد العربي وآثره في نظرية اللغويين القدامى إلى أصوات اللمة « المنشور في عدد يوليو من مجلة «المجلة» والسيد الحساني في تعليقه مدفوع بغيره محمودة على التراث العربي وعلمائنا الأجلاء . غير أن هذه الفرة أصابتها الحمى فبدأ التطبيق كله سببا وشتما ، وأحب أن أطمئه إلى أن نقدنا لبعض آراء علمائنا القدامى لا يعني أن كل ما قالوا كان خطا وأوهاما .

وأول ما يلفت النظر في التعليق من السيد الحساني لم يفهم المقال ، وأنه لا دراية له بأوليات علم اللغويات الحديث . وآية ذلك أنه لا يتصور كيف يمكن أن تستقل الحركة (أصوات اللمة) بالخط ، وإن الأمر لا يحتاج

أما اندفاع الحسائي الى تخطئي في قولي أن الألف والواو والياء في الخط العربي لها وظيفة مزدوجة ، وصدة كلامي بأنه « غلط غلط غلط ! » فمردود عليه . وأية ذلك اختراع الخليل لرمز الهزة ليرفع به بين « سال » و « سال » مثلا . فملك تزامن معي الآن بهذا الإزدواج في رمز الألف ؟ ! أما لا ، التي تعدنا من الإيجدة قبل الهاء والواو ، فهي بداية لادراك هذا الإزدواج . وكان ينبغي عليهم أن يفعلوا مثل ذلك مع الواو والياء جنعا يكونان علامتين للحركة الطويلة ، فيقال مثلا : « لو » (لَو) و « لي » (لِي) .

وهذا الى انني لم اعترض في مقالتي لآثر الخط في النحو الا اذا فهم السيد الحسائي من أمثلة الجزم التي ذكرتها انني أعالج مسائل من النحو . وهو في هذا معزور لانه لا يعرف ان هذه المسائل تعالج الآن في موضوع « علم الإبنية » وهو ما يقابل « علم الصرف » عند العرب .

د - رمضان عبد التواب

أما اندفاع الحسائي الى تخطئي في قولي أن الألف والواو والياء في الخط العربي لها وظيفة مزدوجة ، وصدة كلامي بأنه « غلط غلط غلط ! » فمردود عليه . وأية ذلك اختراع الخليل لرمز الهزة ليرفع به بين « سال » و « سال » مثلا . فملك تزامن معي الآن بهذا الإزدواج في رمز الألف ؟ ! أما لا ، التي تعدنا من الإيجدة قبل الهاء والواو ، فهي بداية لادراك هذا الإزدواج . وكان ينبغي عليهم أن يفعلوا مثل ذلك مع الواو والياء جنعا يكونان علامتين للحركة الطويلة ، فيقال مثلا : « لو » (لَو) و « لي » (لِي) .

وهذا الى انني لم اعترض في مقالتي لآثر الخط في النحو الا اذا فهم السيد الحسائي من أمثلة الجزم التي ذكرتها انني أعالج مسائل من النحو . وهو في هذا معزور لانه لا يعرف ان هذه المسائل تعالج الآن في موضوع « علم الإبنية » وهو ما يقابل « علم الصرف » عند العرب .

صورة الفلاف :

تصويرة من مقامات الحريري :

في أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) دخلت طائفة الورق العالم الإسلامي ، وبدأ من ذلك التاريخ ظهور فن تزئين الكتب بتمينات ... وكانت أهمها تلك التي عُثر عليها بالفيوم والأشمنونين بمحلة بتاثيرات بيزنطية وحبشية .

لكن كان بعض الفصوص يلف جنباً الى جنب التصوير للعرب الإسلامي . الا ان ازدهار مدرسة بغداد في القرن الثالث عشر الميلادي يقضي وضوحاً على - رواج الفن الإسلامي في هذا المجال . وقد حلت صفحات كليات ومخطوطات ومقامات الحريري في ذلك العصر موضع من ابتداء هذه المدرسة التي اميزت بصديق التعبير وشحنة الحياة والحيوية والاشارة على الزخرفة .

ومن ابتداء مخطوطات مدرسة بغداد تلك الصور التي فراها في مقامات الحريري ممثلة لقدرة الفنان في تصوير الجموع وحركتها وفي السقاء تصوير على الوجوه يتمثل فيه اثر الفن المسيحي السوري وما تلقته الفعيرة العربية من طرائق اليونان والارباين والسبعين ثم اعدت صياغته واضافت عليه مستحفا .

وتحفل النسخ المتعددة لمقامات الحريري بعدد من الصور اشهرها المخطوطات المحفوظة بالكتبة الاهلية بباريس من رسم المصور يحيى الواسطي ومخطوط مكتبة فينا .

غير ان المخطوطات المحفوظة بمعهد الدراسات الشرقية بليينجرند اقدم هذه المخطوطات الثلاثة الـ يرجع الى الفترة بين سنة ١٢٢٥ - ١٢٣٥ - ميلادية . ولوحة الفلاف المأخوذة عن هذا المخطوط تصورة تمثل ابا زيد السروجي بطل مقامات الحريري الشهير يلتمس ان يحمل الى مسلح السفينة ...

وهي حافلة بصديق التعبير التشكيلي وبراعة الاداء والتكوين نابضة بجو ينهض من أحداث القامة التاسعة والثلاثين التي تزئنها .

الفلاف الخلفي :

نمثال نفرتاري - صعيد ومسيس الثاني : « ابو سمبل »

لعل هذا التمثال الذي اقامه نحات معبد رمسيس الثاني هو اروع قطع التحت الثالثة في مدخل المعبد . واسم نفرتاري معناه بالهرية « جميلة ايضا » وقد رقت النحات في التعبير عن جمالها التسمياتي الباهر في صياغة تشكيلية ناصبت حجارة الجبل فهي تتسم بالقوة وبالقوة وبالطابع التحية الصريحة بينما ينسكب فيها تبس كأنه شحنة من الحياة تتمثل في قساعات وجوها وتقاطيع الجسد الذي يغتليج برعافة خلف شفافية الرداء الحجري .

بلد الدين ابو غازي